الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمـــي
Ministère de L'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعـــة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
الرقم: .....

Université 8 Mai 1945- Guelma
Faculté : Lettres et les Langues
Département : littérature et langue arabe
N° : .....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

(تخصص أدب جزائري)

بنية النص السردي الرّحلي الجزائري

– رحلة لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال لابن حمادوش أنموذجا –

مقدمة من قبل:

سهام بوسلوة

تاريخ المناقشة: 2017/06/22

أسماء سوسي	رئيسا	الرتبة: أستاذ مساعد – أ –	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أحلام عثامنية	مقررا ومشرفا	الرتبة: أستاذ مساعد – أ –	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
آمنة جاهمي	مناقشا	الرتبة: أستاذ مساعد – أ –	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2016– 2017 م

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بعث فينا الحياة، ثم كان مسير أمرنا ومنير دربنا.

جزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة المتواضعة والأخت الطيبة: "أحلام عثامنية"،

أشكر فيها سعة صبرها، وحسن معاملتها وتواضعها معي. أشكرها على كل

التوجيهات والنصائح التي قدمتها لي، فكانت بمثابة شعلة استطعت المضي بها

قدما لاتمام هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة والأدب العربي، كلية

الآداب واللغات.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ- ج
مدخل: الرّحلة والرّحالة	5- 17
1- مفهوم أدب الرّحلة	05
2- التعريف بالرّحالة	15
3- مضمون الرّحلة	16
4- مفهوم البنية	17
الفصل الأول: الأشكال النثرية في رحلة ابن حمادوش	19- 46
توطئة	19
1- المقامات	20
2- الرسائل	26
3- عقود الزواج	30
4- الإجازات	36
5- القصص	42
الفصل الثاني: الأغراض الشعرية في رحلة ابن حمادوش	48- 65
توطئة	48
1- المدح	49
2- الفخر	52
3- الهجاء	54
4- الرثاء	56
5- الحنين إلى الأهل والوطن	59
6- الألغاز	62
الفصل الثالث: بنية النص السردي الرّحلي	67- 86
توطئة	67
1- السرد (الحكي)	68
2- الوصف	78

3- الحوار	82
خاتمة	88
قائمة المصادر والمراجع	92

يُعدّ أدب الرّحلة من الآداب القديمة المعروفة عند العرب، فهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالرّحلات التي كان يقوم بها الرّحالة لغرض ما، وكان وسيلة من وسائل الاتصال بين الحضارات والثقافات.

عرفت الساحة الأدبية في الجزائر، وبالتحديد في العهد العثماني تطورا وانتشارا واسعا لهذا الفن، إذّ برز العديد من الرّحالة استطاعوا أنّ ينقلوا عادات وتقاليد الدول الأخرى، وصوروا كلّ ما تعرضوا له من مشاهد ومسالك وممالك، وسردوا قصصا حول شخصيات حقيقية، ومن أولئك الرّحالة من نالت نصوصهم نصيبا وافرا من الدراسة والتمحيص الرّحالة عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري.

كانت الرّحلات قديما بمثابة الرواية في عصرنا الحاضر، فقد كانت محط اهتمام العديد من الناس، إذّ كان الرّحالة عند عودته من الرّحلة يسرد لأبناء وطنه جميع ما صادفه من غيابه إلى عودته، فكان أدب الرّحلة بمثابة الوثيقة الرسمية التي يصدقها الناس قديما، فهو النوع الوحيد من الأدب الذي ينقل أرض الواقع على الورق، وهنا تكمن أهمية كتب الرّحلات باعتبارها أهم مصادر كتب التاريخ، والجغرافيا، والفقه، والأدب... إلخ، حيث تترك لدى القارئ أثرا أدبيا نظرا لمّا تحمله من سلاسة الأسلوب، والمتعة والشوق الذي يدفع القارئ على مواصلة القراءة، فحمل هذا الأدب في طياته تلك الأدبية والجمالية سواء من حيث النثر أو الشعر للحفاظ على الأشكال النثرية والأغراض الشعرية، وجعلها تراثا أدبيا يطلع عليه جيل بعد جيل، وهذا ما حفز الرّحالة على سرد كلّ الأحداث ووصف جميع الغرائب ونقل كلّ الحوارات والمناقشات، فاتخذ لنفسه شكلا أدبيا سرديا ممتعا، انضوى ضمن النصوص السردية.

أمّا اختياري لهذا الموضوع فكان لسببين مختلفين، الأول هو شغفي بالأدب الجزائري، والثاني هو التهميش الذي يعانيه هذا الأدب من قبل الدارسين والباحثين، فأردنا

أن نزيل الغبار عنه، وننير جوانبه المظلمة حيث لا زال في مخطوطات وجميع الدراسات والبحوث الأكاديمية بعيدة عنه، علما أنّ هذا الأدب، الأدب الجزائري، ثروة من المعرفة والعلم، فاتخذنا رّحلة ابن حمادوش المسمّاة " لسان المقال في النّبإ عن النسب والحسب والحال" أنموذجا لهذه الدراسة.

لقد انطلقنا في دراستنا على طرح سؤالين مركزين، أولهما: هل حافظ أدب الرّحلة الجزائري على الأشكال النثرية والأغراض الشعرية القديمة؟ وثانيهما: ما هي آليات الخطاب السردي للرّحلة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وجب علينا دراسة الموضوع وفق المنهج الوصفي مع الاستعانة بالمنهج البنيوي، فاشتملت الدراسة على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

خصصنا المدخل لبعض المفاهيم المتعلقة بالرّحلة والرّحالة، فكان على شكلّ عناصر تطرقنا إليها قبل الولوج في البحث، إذّ حددنا مفهوم أدب الرّحلة وعرفنا بالرّحالة، كما لخصنا مضمون الرّحلة في بضعة أسطر، وحتى تكتمل الصورة في ذهن القارئ قمنا بتقديم مفهوم بسيط وموجز للبنية.

أمّا الفصل الأول فتحدثنا فيه عن الأشكال النثرية في رحلة ابن حمادوش من خلال الأنّواع المختلفة لهذه الأشكال والمتمثلة أساسا في المقامات، والرسائل، وعقود الزواج، والإجازات، والقصص.

والفصل الثاني عُنون بالأغراض الشعرية في رحلة ابن حمادوش، فتجلّت في: المدح، والفخر، والهجاء، والرثاء، والحنين إلى الأهل والوطن، والألغاز علما إنّ هذين الفصلين كان التنظير إلى جانب التطبيق.

أمّا الفصل الثالث فوُسم بالبنية السردية للرّحلة، وهو فصل تطبيقي، تناولنا فيه بنية النص السردي الّرحلي، والمتمثلة في: السرد، والوصف، والحوار، وكان التطبيق على نماذج من رحلة ابن حمادوش، وينتهي البحث بخاتمة تجسد فيها مجموع النتائج المتوصل إليها.

وقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على جملة من المصادر والمراجع التي كانت عونا لنا، نذكر منها:

- رحلة ابن حمادوش الجزائري الموسومة "لسان المقال في النّبإ النّسب والحسب والحال".
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.
- عبد الرحيم مؤذن، أدبية الرّحلة.
- سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات.
- شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي، التجنس.. آليات الكتابة.. خطاب المتخيل.

دون أنّ ننسى في مقامنا هذا جملة من الصعوبات التي اعترضت طريقنا؛ منها قلّة المصادر والمراجع كون الموضوع يندرج ضمن الأدب الجزائري القديم.

ولا يسعنا في الأخير إلا أنّ أتقدم بالشكر والعرفان لكلّ من ساعدني على إنّجاز هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة "أحلام عثامنية" حفظها الله ورعاها وسدد خطاها، وكلّ الاحترام والتقدير للأستاذ يزيد مغمولي، وأتوجه بالشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة.

مدخـــل:

الرّحلة والرّحالة

1- مفهوم أدب الرّحلة

2- التعريف بالرّحالة

3- مضمون الرّحلة

4- مفهوم البنية

1- مفهوم أدب الرّحلة:

أدب الرّحلة لون من ألوان الأدب، يُصور فيه الرّحالة كلّ ما شاهده في أثناء رحلته من أماكن وبلدان ومسالك وممالك، وينقل عادات وتقاليد خاصة بمجتمعات وشعوب، وبمعنى آخر هو يُعبر عن مشاعر تختلج في نفس الأديب تجاه كلّ ما يراه، ويُعدّ أدب الرّحلة نوعا من أنواع التواصل الثقافي، فبواسطته تتعارف الأمم والشعوب وتتقارب حيث تتعرف كلّ أمة إلى ثقافة الأمم الأخرى وقبل الولوج في صلب الموضوع وجب علينا التطرق إلى مفهوم الرّحلة لغة واصطلاحا.

أ -لغة:

الرّحلة لغة مأخوذة من مادة (رَحَلَ)، الرّحلة والتّرحُل والارتحال: الانتقال وهو الرِّحلة والرُّحلة، والرِّحلة: اسم للارتحال للمَسير، يقال: دَنَتْ رِحْلتنا، ورَحَلَ فلُان وارتَحل وتَرَحَّل[1].

ويقال: ومَضَى القَوْم عن المكان انتقلوُا كتَرحَلُوا والاسم الرُّحلة بالضم والكسر أو بالكسر الارِتحال وبالضم الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة.. [2].

وكذلك تطلق كلمة الرِّحلة على: الدابَة إذَا سَمنت: أَرحلت بعد هزال فأطاقت الرّحلة[3].

1- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، دار الصادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، مادة (رحل)، ج11، ص279.

2- قاموس المحيط، الفيروز أبادي مجد الدين بن يعقوب الشيرازي، الهيئة العامة للكتاب، لبنان، ط 3، 1979، ج3، ص371.

3- الفضاء المديني ودوره في التشكيل السردي، رحلة العبدري، المبروك أعمر، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات، تيزي وزو، 2013، ص14.

صبت هذه المفاهيم اللغوية في معنى واحد، ألا وهو الإنتقال والحركة، فكلا من التسميتين- الإنتقال والحركة- حتى وإنّ اختلفتا في المصطلح إلا أنّهما يصبان في معنى واحد، وهو الجذر اللغوي (رَحَلَ).

ب -اصطلاحا:

أمّا اصطلاحا فوردت عدّة مفاهيم للرّحلة، وتنوعت من مرجع لآخر، ومن باحث إلى آخر كل حسب وجهة نظره، "فالإمام الغزالي" عرّف الرّحلة أنّها: "نوع حركة ومخالطة" أو: "نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة"[1].

وعرفها "بطرس البستاني" بأنّها: "انتقال واحد- أو جماعة- من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة، وأسباب متعددة"[2].

أمّا الشيخ "حسن العطار" فيرى أن: "السفر مرآة الأعاجيب، وقسطاس التجارب"[3].

وهناك من يرى أنّ الرّحلة هي: "نوعا من الحركة، وهي أيضا مخالطة للناس وأقوام"[4].

كما نجد "محمد التونجي" يرى أنّ الرّحلة: "شاعت في الأدب الحديث وأقبل الأدباء على تدوين زياراتهم في البلاد التي طافوا بها، من ركوب الطائرة، كما فعل عبد العزيز البشري، أو أي وسيلة أخرى"[5].

1- الرّحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ناصر عبد الرزاق الموافي، كلية الآداب، القاهرة، ط1، 1995، ص24.
2- المرجع نفسه، ص24.
3- أدب الرحلات، حسين محمد فهيم، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د.ط)، 1989، ص15.
4- المرجع نفسه، ص15.
5- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1999، ص470،471.

إنّ الرّحلة هي كلّ حركة يقوم بها الإنسان، ويتنقل من مكان إلى آخر وبأي وسيلة كانت- بحرًا، برًا، جوًا- كما أنّها تعمل على نقل ما شاهده الأدباء خلال هذه الرّحلات أو الزيارات، وعن طريقها أتى أصحابها بنوع جديد من الأدب من خلال نقل عادات وتقاليد وثقافة الشعوب، فكان بمثابة الأنتربولوجي الذي يرصد كلّ كبيرة وصغيرة، في أي مكان يحل فيه، وهذا ما يطلق عليه أدب الرحلات الذي سنتطرق إليه.

تعددت تعاريف أدب الرّحلة واختلفت من مرجع لآخر ومن باحث لآخر.

فقد ورد في (معجم المصطلحات الأدبية) أنّ أدب الرّحلة هو: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وتقاليد وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[1].

إذا أدب الرّحلة هو كل ما يصادف الرّحالة من أمور كبيرة كانت أو صغيرة، ويتعرض لها في أثناء رحلته دون تحضير مسبق لها، حيث يقوم بنقل وكتابة كل ما يصادفه بالتفصيل، فحتى المناظر الطبيعية يسجلها وينقلها ويصورها بالتفصيل الدقيق.

وعند "أنجيل بطرس": "أدب الرّحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلات الواقعية، وهي الرّحلة التي يقوم بها رحال إلى بلد من بلاد العالم، ويدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة وجمال الأسلوب"[2].

مفاد هذا الكلام أنّ أدب الرّحلة هو كل رحلة واقعية وحقيقية ليست من إنتاج الخيال، بل يقوم بها الرّحالة فعلا، كمّا ينقل كل ما يشاهده.

1- الرّحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ناصر عبد الرزاق الموافي، دار النشر للجامعات المصرية،مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995، ص38.
2- المرجع نفسه، ص38.

وهناك من ذهب إلى تعريفه من أمثال "مجدي وهبه" و"كامل المهندس" بقولهم هو: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[1].

يتضح من هذه المفاهيم الإصطلاحية أن أدب الرّحلة هو كل ما يسجله الرّحالة وينقله منذ خروجه من بلده إلى غاية الرجوع إليه، دون أن ينسى أي شاردة أو واردة.

كما ساعد الإسلام على ظهور الرحلات، وذلك عن طريق الفتوحات الإسلامية فظهرت كتابات متعددة في هذا المجال، قام بها الرّحالة العرب، وقد عكس أدب الرّحلات ثقافة تلك العصور، فذكرت الرّحلة في القرآن الكريم في عدة آيات وسور.

" فالقرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة دعا في مواضع عديدة إلى السفر والترحال، والضرب في الأرض"[2]، نذكر من ذلك قوله سبحانه:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبةُ المُكَذّبِينَ﴾ [3]، وقوله:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [4]، وقوله كذلك:

﴿هُوَ الذِي جَعَلَ لكُم الأَرْضَ ذَلُولا فأمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوا مِن رِزقِه وإليْه النّشُورُ﴾[5].

1- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص19.
2- أدب الرّحلة في التراث العربي، فؤاد قنديل، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 2002، ص29.
3- سورة الأنعام، الآية 15.
4- سورة يوسف، الآية 109.
5- سورة الملك، الآية 15.

كما وردت الرّحلة في سورة قريش بطريقة مباشرة وواضحة ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِم رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾ [1].

إذا أدب الرّحلة أول فن شاع على وجه البسيطة من خلال الرّحلة الأولى التي قام بها الإنسان من بساتين الجنة إلى سطح الأرض، ومنذ ذلك التاريخ السحيق لم تتوقف رحلات البشر.

وتتعدد الدوافع التي تُحمس الإنسان للرّحلات، وتختلف من شخص إلى آخر، ومن قوم إلى آخرين ومن عهد لعهد، إلا أنّها في الأغلب لا تخرج أن تكون:

1 –**دوافع غير مباشرة** : ومنها ما هو مرتبط بالمنظومة الثقافية، ومنها ما هو متعلق بالبيئة نفسها.

فالدوافع غير المباشرة كما ذكرنا سابقا تمثلها علاقة الرّحلة بالإسلام، من خلال الآيات التي أوردناها.

2 –**الدوافع المباشرة (الذاتية):** ترتبط الدوافع الذاتية ،غالبا، بالدوافع العامة، التي يستمد منها الأفراد المبررات الكافية للانطلاق والاغتراب، وأكثر الضرورات تأثيرا ما ارتبط بالذات وحاجاتها، .... التي تدفع الإنسان للرحيل على الرغم من أنها قد تكون مضادة لرغباته أو منافية لتوجهاته العقلية، ومخالفة لاستحسان الآخرين....

والدوافع الذاتية تابعة لميولات الرّحالين، وقد يعلن عنها في المقدمات، وقد تدرك من خلال المتن، وفي حال عدم ظهورها تلتمس الدوافع الداخلية التي تعطي للرحالة طاقتها التي يتولد منها التواصل الفعلي بين المرسل والمستقبلين[2].

1- سورة قريش، الآيتان 01 ،02.

2- فن الرّحلة في الأدب المغربي القديم، إسماعيل زردومي، أطروحة دكتوراه دولة في الأدب القديم، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، 2005، ص18.

كما يمكننا القول إنّ الرّحلة تخرج من أجل[1]:

- الكشف عمّا يجمع ولا يفرق، عما هو أصيل غير عارض، عن حقيقة الكون.
- الرغبة في العزلة والتأمل.
- البحث عن الجمال المفقود، والسلام المنشود، والفوضى الفطرية.
- الوحي والإلهام من أجل الإبداع، وقد كان بعض الشعراء العرب يرحلون إلى البادية إذّا تعذر عليهم قول الشعر، فتعمل الصحراء الخالية على تصفية الذهن وتجويد القريحة، سئل الشاعر الأموي (نصيب): "أتطلب القريض أحيانا فيعسر عليك؟ فقال: إي والله لربما فعلت، فآمر براحلتي فيشد عليها رحلي، ثم أسير في الشعاب الخالية، وأقف في الرباع المقوية، فيطربني ذلك، ويفتح لي الشعر"[2].
- وقد يخرج الرّحال إرضاء لفضوله وحب استطلاعه.
- وقد تكون الغيرة الشخصية، أو طلب الشهرة من دوافع الرّحلة.
- وقد تصبح الرّحلة داء لا يمكن الخلاص منه، فيطلق على صاحبها اسم (الجوال) أو(جوالة)، وقد حظى بهذا اللقب مسلمون كثيرون.
- وباعتبار الرّحلة مصدرا حيّا من مصادر زيادة الخبرات، فإن كثيرين يلجؤون إليها من أجل تنمية قدراتهم الذاتية على مواجهة الحياة في مختلف الظروف.
- وقد تكون الرّحلة من أجل العلم، فهي معلم ممتاز على مستويين: النظري والعملي، كما أنّها وسيلة للإيمان، أو لتثبيته وتأكيده، وذلك من خلال ما يراه الرّحال من عجائب وغرائب وبديع وضع.
- وقد تكون الرّحلة من أجل القيام بأعمال رسمية، خدمة للدولة التي ينتمي إليها الرحال، فالسفارات الرسمية ورحلات البريد.... إلى غير ذلك.

1- الرّحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ناصر عبد الرزاق الموافي، كلية الآداب، القاهرة، ط1، 1995، ص26.

2- المرجع نفسه ، ص27.

- وقد تكون من أجل تأدية فرائض دينية كالحج، أو زيارة المقدسات والأولياء.
- وقد تكون وفي نيتها نشر دين والدعوة إليه.
- وقد تكون الظروف التي تمرُّ بها دولة سببا في الرّحلة، بخاصة إبان قوة تلك الدولة وازدهارها الحضاري، مما يحفز مواطنيها على رؤية البلاد الأخرى[1].

يتضح من خلال هذه النقاط أنّ دوافع الرّحلة متنوعة ومختلفة من رحالة إلى آخر كلّ حسب غايته التي خرج من أجلها.

والشيء الملفت للانتباه وجود عدّة دوافع وأسباب للرّحلة ممّا أوجد عدّة أنواع وعدّة تصانيف و أغرب هذه التصنيفات، تصنيف "محمد الفاسي" في مقدمة تحقيقه لكتاب (الإكسير في فكاك الأسير) إذ قسم الرّحلات إلى خمسة عشر نوعا:

1 -الرحلات الحجازية.
2 -الرحلات الرسمية.
3 -الرحلات الأثرية.
4 -الرحلات الزيارية.
5 -الرحلات العلمية.
6 -الرحلات البلدانية.
7 -الرحلات الفهرسية.
8 -الرحلات السفارية.
9 -الرحلات السياحية.
10 -الرحلات الدراسية.
11 -الرحلات الاستكشافية.

1- المرجع السابق، ص27،28.

12 – الرحلات السياسية.

13 – الرحلات المقامية.

14 – الرحلات الخيالية.

15 – الرحلات العامة.

فمن كلّ هذه الرّحلات يتضح أنّ لكلّ رحلة هدف وغاية يسعى خلفها الرّحالة، كما أنّ كلّ رحلة تختلف عن الأخرى، فمثلا الرّحلة الحجازية هي التي يسردها صاحبها بعد العودة من فريضة الحجّ، أمّا الرّحلة الأثرية فهي التي يكون الهدف منها البحث والتنقيب عن الآثار ووصفها وصفا شاملا ودقيقا.

وأقرب هذه التصنيفات للواقع، تصنيف "صلاح الدين الشامي" في كتابيه: (الرّحلة: عين الجغرافيا المبصرة) و (الإسلام والفكر الجغرافي) إذ قسم الرّحلة إلى ستة أنواع منها ثلاثة كانت قبل الإسلام وهي[1]:

1 –رحلة الحج 2– رحلة الحرب 3– رحلة السفارة.

وثلاثة أخرى أضافها الإسلام هي[2]:

4– رحلة الحج 5– رحلة طلب العلم 6– رحلة التجوال والطواف.

ولكن ما يجب التنبيه عليه أنّ الجاهليين عرفوا رحلة الحج، وإنّ اختلفت طبيعتها عن طبيعة رحلة الحج الإسلامية.

أدب الرّحلة فن من الفنون الأدبية التي ظهرت منذ القديم، فشوقي ضيف يؤكد أنّ أدب الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، لسبب بسيط وهو أنّها خير رد على التهمة

1- المرجع السابق، ص32،33.
2- المرجع نفسه، 32،33.

التي طالما أتُّهم بها هذا الأدب "ونقصد تهمة قصوره في فن القصة، ومن غير شك أن يتهمونه بهذه التهمة لم يقرءوا ما تقدِمه كتب الرحلات من قصص عن زنوج إفريقية وعرائس البحر وحجاج الهند وأكلة لحوم البشر وصناع الصين وسكان نهر القولجا وعبدة النار والإنسان البدائي والراقي مما يصور الحقيقة حينا، ويرتفع بنا إلى عالم خيالي حينا آخر"[1].

أما "محمد التونجي" فقد صرح أنّ العرب: "عرفوا كتب التقاويم والبلدان منذ المراحل الأولى للتأليف، ووجهّوا هذه الكتب وجهات جغرافية بحتة أحيانا، ومطّعمة بالأعلام والأشعار أحيانا، كمّا خصّوا مؤلفاتهم في رحلة عامة وصفوا فيها ما يرون ومن يرون، أو جعلوها عامّة لأشهر الأمصار، وهم في كثير من الأحيان جعلوا كتبهم تأخذ طابعا فنيا أدبيا تاريخيا جغرافيا، حتى غدت بالموسوعة الثقافية، وفي هذا الحال يضعف التصوير الجغرافي، ويكثر التعريف بالأعلام ويوصف المدارس والمواضع والمساجد، ولكنهم لم يحافظوا على جمالية الأسلوب الفني غالبا، فنراهم يهتمون بطريقة العرض وأسلوب التشويق وهذا كله ينقص من عملية الموضوع"[2].

إذًا ممّا تقدم نخلص إلى أنّ أدب الرّحلة أدب شاع منذ القديم – قبل الإسلام– فقد كان مرتبط بشكل كبير مع فن القصة، ويظهر ذلك من خلال القصص التي كانت تتداول بين الرّحالة وما شاهدوه في أثناء رحلاتهم.

من خلال تعرضنا لمفهوم أدب الرّحلة والدوافع والأسباب التي يقوم عليها الرحالة اتضح ما كان غامضا، ذلك أنّ الرّحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه ومرحلة تاريخية محددة.

1- الرحلات، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د.ت)، ص7.

2- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي ،ص55.

أما أسلوب الكتابة واللغة التي يتوسل بها كاتب الرّحلة، فإنه قد يضيف إليها قيمة أدبية: "وبخاصة عندما يحتفل الكاتب ببعض المحسنات البلاغية، وجمال اللغة وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي، سلس، مشرق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن الأدب العربي عندما تصبح قراءة هذا اللون من الكتابة متعة ذهنية"[1].

فأدب الرّحلة ينسب إلى حقل السرد "فجبور عبد النور" يرى أنّ الإثارة في الرّحلة: "متأتية من الوصف الطريف للواقع والسّرد الفني للمغامرة الإنسانية، والعواطف المحركة للبشر"[2].

ومن هنا يؤكد بعض الدارسين انتساب أدب الرّحلة إلى حقل السرد، باعتبارها كتابة أدبية تتوفر على مكونات سردية، ويُعد السرد السمة البارزة في أدب الرّحلات، لأنّ الرّحالة بصدد الإخبار عن ما صادفه من أمور وأحداث في أثناء رحلته لأحد الأماكن.

ويأتي السرد بضمير المتكلم- الرحالة- وهذا عندما يتم تدوين وسرد تفاصيل الرّحلة عند عودة الرّحالة مباشرة، كما يأتي السرد في بعض الأحيان بضمير الغائب، ففي بعض الحالات هناك من يكتب ويسرد رحلة غيره وينسبها له (وهذا بعد السماع منه أو من رحالة عصره).

1- أدب الرّحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة، عبد الله بن عثمان الياقوت، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، 2001، ص159.

2- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص123.

2- التعريف بالرحالة:

ابن حمادوش الجزائري: (1107 هـ- 1195 هـ).

هو عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش، أبو محمد، الجزائري: مؤرخ، نسابة، قام برحلة إلى المغرب الأقصى سنة 1156 هـ، 1746 م ووضع كتابا عن رحلته أسمّاه "لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحَال".

قال ابن سودة [1]: "يقع في مجلد أطال فيه في وصف المغرب، بلغني أن منها نسخة بالخزانة الكتانية بفاس".

كان ابن حمادوش عشاب، وفقيه، ورحالة، من أهل الجزائر، كانت حرفة أسرته الدباغة حيث عُرف أبوه بالدباغ، حج حجته الأولى سنة 1130 هـ مارا بتونس، وقام برحلات إلى المغرب 1156 هـ، قرأ فيها على جماعة منهم "محمد بن عبد السلام البناني الفاسي"، وأشار في رحلة أخرى إلى أنه زار بلاد العرب والعجم والترك، وروى في مدينة رشيد بمصر سنة 1161 وصنف كتبا[2]:

- كشف الرموز في بيان الأعشاب.
- رحلته المسماة: لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال، الجزء الثاني منه في الرباط في آخره نقص، وفي الجزائر نسخة تامة من هذا الجزء تُهيأ للنشر.
- تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج.

1- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، لبنان، ط 1، 1980، ص365.

2- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ط1، 2002، ج3، ص352.

3- مضمون الرّحلة:

خرج ابن حمادوش يوم 14 فيفري عام 1743 من الجزائر إلى المغرب، وبالتحديد إلى مدينة تطوان، أين اشتغل بنسخ الكتب، وهناك التقى ببعض العلماء، وأخذ عنهم الفقه وأعطوه الإجازات، ثم رحل إلى مكناس، ولم يبق هناك طويلا حيث أقام فيها حوالي أحد عشر يوما، ومن مكناس رحل إلى فاس وبقى فيها ستة أشهر من 09 ربيع الأول إلى عشرين شوال، فأخذ عن علمائها أيضا، وتحدث عن بعض عاداتهم وتقاليدهم مثل الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، ثم عاد مرة أخرى إلى تطوان واشترى كتبا في الفقه والحديث والأدب، وبعدها عاد إلى الجزائر مباشرة حاملا معه إلا الكتب، فتحولت رحلته من رحلة علمية تجارية إلى رحلة علمية بامتياز هذا ما جعل زوجته تغضب عليه وتشتمه، فراح بنعتها بالساخطة.

تحدث ابن حمادوش في رحلته عن يومياته، وما صادفه، فرصد العادات والتقاليد في المغرب والجزائر، مثل الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، وليلة القدر، وعقود الزواج.

احتوت الرّحلة على مسائل حسابية وفلكية، كما تضمنت حديثا عن قصص الأنبياء و الخلفاء الراشدين، ذكر سلاطين وباشاوات الدولة العثمانية والغارات الإسبانية على الجزائر.

هذا هو الجزء الثاني من رحلة ابن حمادوش المسّماة "لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال" أما الجزء الأول مفقود لأن الرحالة كان يستعمل عبارة "وقد تقدم في الجزء الأول"[1].

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د.ط)، 1983، ص19.

4- مفهوم البنية:

إنّ مصطلح البنية في المجال النقدي، يطرح مشكلة متمثلة في عدم الوصول إلى مفهوم واضح ودقيق، لهذا سنقف على المفهوم المعجمي والاصطلاحي له.

أ -لغة:

ورد في أحد المعاجم أن البنية من: "بنىَ، بناءً، وبُنياناً وبنايةٌ، فهو بَانٍ والمفعول مَبْنِيَ، وبنىَ المنزل: أَقَامَ جِدَاره ونحَوه، ويستعمل مجازًا في معان تدور حول التأسيس والتنمية"[1].

وكذلك "البَني: نَقيضُ الهَدْم، ومنْه بَنى البِناء، بَنيا وبِنى وبَنيا وبُنيانا وبِنية، والبِناء جمعه أَبنِية وأَبْنِيَات جَمع الجَمع، والبُنية والبِنية، وهو البُنى والبِنى، ويقال: البنى من الكرمِ"[2].

إذًا فالبنية عكس الهدم، فهي التركيب والجمع.

ب -اصطلاحا:

لم تظهر البنية كمصطلح مستقل لوحده، بل تُكتسب ضمن البنيوية، المنهج النقدي، فهي "الكيفية التي شيد على نحوها هذا البناء أو ذاك"[3]، وهذا ما ذهب إليه "ليفي ستراوس" "لقد جاء لفظ البنيوية من البنية، وهي كلمة تعني الكيفية التي شيد عليها بناء ما"[4].

من خلال ما تقدم يتضح أن البنية هي الطريقة التي يمكن إتباعها لبناء نص ما.

1- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2008، مج 1، ص250.

2- البنية السردية في رواية خطوات في الاتجاه الآخر لحفناوي زاغز، ربيعة بدري، رسالة ماجستير في السرديات العربية، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات ،قسم الآداب واللغة العربية، بسكرة، 2015، ص05.

3- مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص29.

4- البنية السردية في رواية خطوات في الاتجاه الآخر لحفناوي زاغز، ربيعة بدري، ص06.

الفصل الأوّل:

الأشكال النثرية في رحلة

ابن حمادوش

توطئة.

1- المقامات

2- الرسائل

3- عقد الزواج

4- الإجازات

5- القصص

توطئة:

تُعدُّ الأشكال النثرية من أبرز القضايا التي أرهقت كاهل الباحث، فهناك من قسمها إلى قسمين: الأول أشكال نثرية حديثة، والثاني أشكال نثرية تقليدية، فالأوّل تنوع بين الرواية والمسرح...إلخ، وكان ظهوره مرتبطا بالطبقة البرجوازية الغربية، أمّا الثاني فتنوع بين المقامات والرسائل والخطب والوصايا والإجازات...إلخ، فهي متنوعة بتنوع ثقافة الفرد العربي، لأنّها نتاج عقل عربي محض، وظهوره كان مرتبطا بالآداب العربية العامة وأدب الرّحلة بخاصة، حيث اهتم الرّحالة بهذه الأشكال النثرية السردية، فراح يُبدع فيها كما أبدع الغربي في روايته ومسرحه، فالرّحالة عند تدوين رحلته مزج بين هذه الأغراض ووظفها بطريقة إبداعية راقية، ممّا زاد في الملتقى والقارئ التشويق لقراءتها حتى النهاية.

الأشكال النثرية.

1- المقامات:

تُعدُّ المقامات من أهم الفنون الأدبية، التي عرفها الإنسان منذ زمن بعيد، في جميع الأقطار العربية والعالمية، فهي فن مختلف عن باقي الفنون، إذْ لا تشبه الشعر ولا النثر، فقد تميزت بأسلوب ساخر قريب إلى التهكم، وقد أُشتهر بهذا الفن بديع الزمان الهمداني، وتبعه الحريري، وسنتطرق إلى دراسة فن المقامات من خلال مقامات ابن حمادوش، ولكن يجب علينا أولا معرفة معنى المقامة في حد ذاته من خلال المعنى المعجمي والاصطلاحي.

أ -لغة:

جاء في لسان العرب أن المَقام: موضع القدمين، قال:

هذا مَقَامُ قدمي رَبَاحِ غُدوَة حتىَّ دَلَكَت بْرَاحِ.

والمُقامُ والمُقامةُ: الموضع الذي تُقيم فيه، والمُقامة، بالضم: الإقامة.

والمَقامة، بالفتح: المجلس والجماعة من الناس[1].

أمَّا في معجم الوسيط فالمقامة تعني: "الجماعة من الناس، والمجلس والخُطبة أو العظَة أو نحوهما، وقصّةٌ قصيرة مسجوعة، تشتمل على عظة، أَو ملحة كان الأدباء يُظهرون فيها براعتهم"[2].

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة(قَومَ)، ج12، ص498.

2- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار العودة، اسطنبول، تركيا، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص768.

من خلال ما تقدم يتضح أنّ للمقامة معنى واحد، إذْ اتفقا كلا المعجمين على أن المقامة تعني: المجلس والجماعة من الناس.

ب - اصطلاحا:

عرفها" شوقي ضيف" في كتابه بقوله: "ليست المقامة إذن قصة، وإنما هي حديث أدبي بليغ، وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة، فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط، أما هي في حقيقتها يطرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطلع من جهة إلى حادثة معينة، ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة"[1].

أما "زكي مبارك" فيرى أنّ: "أظهر أنواع الأقاصيص في القرن الرابع هو فن المقامات، وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب بما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية، أو خطوة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة أو المجون"[2].

إذا المقامة هي حديث أدبي في الباطن، وفي الظاهر قصة أو قصوصة، ظهرت إلى الوجود في القرن الرابع هجري، أخذت طابع هزلي وسخري، يكتبها الأديب بألفاظ أنيقة مسجوعة، تزيد في الأسلوب رونقا وجمالا، ممّا يؤدي إلى تشويق وجلب القارئ، والشيء المميز لفن المقامة هي الحيلة أو الكدية.

ويعد بديع الزمان هو أوّل من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء: "إذْ عبر عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصور أحاديث تُلقى في جماعات"[3].

1- بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمداني والحريري، دراسة أسلوبية، نجلاء علي حسين الوقاد، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، 2006، ص02.

2- المرجع نفسه، ص02.

3- المقامة، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، (د.ت)، ص08.

تميزت المقامة عن باقي الأشكال النثرية الأخرى بعبارات تبتدئ بها مثل: ("حدثنا" أو "حكى" أو "روى"، وهذا كله خاص بالمقامات التي كتبت على خطة البديع) [1]، وهو دائما يستهل المقامة بقوله[2]: (حدثنا عيسى بن هشام...).

عرفت الجزائر المقامات مثل بقية البلدان الأخرى، وهو فن عُرف منذ القديم، وله جذور ضاربة في التاريخ العربي والعالمي، حتى أنهم لم يستطيعوا تحديد أصله، فالبعض يقول أنّه فارسي، والبعض الآخر يقول عربي الأصل، هو مرتبط مع بديع الزمان الهمداني والحريري.

وفي الجزائر ظهر مع منامات ابن محرز الوهراني، وابن شرف، وأحمد البوني، وابن ميمون، وصولا إلى ابن حمادوش الذي نحن في صدد دراسته.

إلا أنّ هذا الفن كان يختلف من أديب لآخر، فرائدها بديع الزمان؛ فقد كانت مقاماته مختلفة تماما عن مقامات ابن حمادوش، وهذا نموذج من مقامة بديع الزمان يقول [3]: "قال عيسى بن هشام: فلما فتق سمعي منه هذا الكلام، علمت أن وراءه فضلا، فتبعته، حتى صار إلى أم مثواه، ووقفت منه بحيث لا يراني وأراه، وأماط السادة لُثُمهم، فإذا زعيمهم أبو فتح الاسكندري فنظرت إليه وقلت: ما هذه الحيلة ويحك؟!...".

وله الكثير من المقامات التي يختلف بعضها عن بعضها الآخر؛ إذ كتبها بأسلوب سهل وألفاظ مسجوعة.

1- فن المقامات في الأدب العربي، عبد المالك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1980، ص361.

2- فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي، عباس مصطفى الصالحي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، العراق، (د.ط)، 1984، ص17،18.

3- المقامة، شوقي ضيف، ص23.

أمّا ابن حمادوش فله ثلاث مقامات في رحلته المسّماة: "لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال"، فالأولى تصف الطريق من تطوان إلى مكناس، وما رآه فيها من غرائب، حيث بدأ مقدمته بالحمدلة يقول [1]: "الحمد لله، طحى بي ضيق الأسباب، وهوى الاكتساب، إلى أنّ خطرت من شدة الأياس، إلى بلاد الملك مكناس، أخوض الغمار، لأشتري الثمار، وأقتحم الأخطار، لكي أدرك الأوطار...".

أمّا في وصفه غرائب ما رأى في الطريق بين تطوان ومكناس يقول [2]: "ومن غريب ما رأيت في هذا الطريق قرب المرج الطويل، وجدتهم يحصدون الشعير في خامس أبريل وفي هذا المرج السمك تسعة بوري مقلو في ودكه بموزونة*.

ومن غريب ما رأيت أني رأيت غرتين كل واحدة في أفحصها فوق الماء تحضن بيضها، فلما بلغت المبيت شهد أهل الحي كلهم، كبيرهم وصغيرهم أن الغر وبوغطاس وطيور (كذا) أخر لا يلدون إلا فوق الماء في الموضع الذي يكون عليه كقطعة حسير من الكلأ،...، ويحملون ذلك بالربط من مقدمها، ويشدون ربط الكل ويركب فيها ويمسك في يده عودًا طويلا يكتد به ولا يقذف".

وصف ابن حمادوش في هذه المقامة أغرب ما رآه في طريقه بين تطوان ومكناس، فقد رأى مجموعة من الطيور تحط على البرك والبحيرات، وهذه الطيور تسمى الغر، والغر طائر أسود وهو مثل الدجاج، وبيضه كبيض الحجل، إلا أنّه أشدُّ بياضا من لون الحجل.

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص71.

2- المصدر نفسه، ص73،74.

*: تسعة بوري مقلوفي ودكه بموزونة: أي تسعة أسماك مقلية من نوع البوري بموزونة، وهي عملة ذلك الوقت.

كمّا أنّه وصف أشياء أخرى في هذه المقامة.

يرى "شوقي ضيف": "ليس في المقامة كدية ولا شحاذة أدبية بل هي وصف لطريق ومشاهده وصفا أدبيا"[1].

ولابن حمادوش مقامة ثانية باسم المقامة الهركلية *، يبدؤها قائلا [2]: "الحمد لله حدى* بي حادي الرّحلة، إلى أنّ دخلت في بعض أسفاري هركلة بها في خان، كأنّه من أبيات النيران، أو كنائس الرهبان، بل لا شك أنه من أبيات العصيان، فلذلك لا يسر به الناظر، ولا ينشرح له الخاطر، ...، ففلقت بابي، لأحفظ جبائي وأومّن جنابي، من شدة أتعابي،...، وهدأت الأصوات، وصرنا كالأموات، وتوغلت في حبائل النوم،....، وشددت الرحال، وتهيأت للترحال".

علق "شوقي ضيف" على هذه المقامة قائلا [3]: "المقامة ليس فيها إلا هذا الوصف للخان، فهي أضعف من صاحبتها أدبيا أو من حيث المشاهد الأدبية، وسمى البلد هركلة ولعله يريد هرجلة لما سمع في الفندق من هرج وصياح وجلبة هنا وهناك، مما جعله يشد الرحال ويعزم على الترحال".

1- عصر الدول والإمارات (الجزائر- المغرب الأقصى- موريتانيا- السودان)، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.ت)، ص240.

*: الهركلية: يقصد بالهركلة (بالقاف المعقوفة) الهرج ونحوه.

2- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص78،79.

*: حدى: بالألف المقصورة (حدا).

3- عصر الدول والإمارات (الجزائر- المغرب الأقصى- موريتانيا- السودان)، شوقي ضيف، ص240.

أما المقامة الثالثة فقد سماها المقامة الحالية *، ويقول فيها ابن حمادوش [1]: "الحمد لله محول الأحوال ومرخي البال، ومقلب الأمور في الدهور والصلاة والسلام على خير الأنام....، قرنت بجارة غرة، عيشتها مرة، البذرة عندها ذرة، وميرة الحجيج عندها بعره، لا يشبعها الجليل، ولا تعبأ بالقليل، .... ونسأل الله أن يحفظ الباقي من العمر، كما ستر السالف مما مضى وممر، فأشبهت حواشيها، ولست ممن يحاشيها، فلذا اخترتها أما لأولادي،.... وقليل فيها ما يسر نظرا القول الصادق الصدوق "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة".

صور ابن حمادوش [2]: "زوجته غرة يسهل انخداعها ،بل جمعت السوء كله، إذ عيشتها مرة، ودائما غاضبة ساخطة تطلب ما لا يتأتى ولا يكون، ولا تترك وسيلة لخزي زوجها وإحراجه إلا تقترفها، ودائما تطلب منه المستحيل من مثل طير العنقاء والرخ الأسطوريين وبيض النوق،....، وواضح أن هذه المقامة الثالثة تبعد بدورها عن فن المقامة كما رسمه بديع الزمان الهمداني والحريري".

من خلال دراستنا لقمامات ابن حمادوش ومعرفتنا السابقة بمقامات الهمداني نرى أنّ مقامات ابن حمادوش لا تمد للمقامة بشيء ماعدا الاسم وللتوضيح أكثر نستعين بالجدول الآتي:

---

*: الحالية: نرجح أن المؤلف يرمز بها إلى زوجة أم أولاده (زهراء) كما أشار إلى ذلك في النص وهي من أجود مقاماته.

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص164،165.

2- عصر الدول والإمارات (الجزائر- المغرب الأقصى- موريتانيا- السودان)، شوقي ضيف، ص240،241.

مقامات ابن حمادوش	مقامات بديع الزمان الهمداني
– يستهلها بالحمدلة	– يستهلها بحديث عيسى بن هشام
– البطل هو الراوي (ابن حمادوش)	– البطل: أبو فتح الاسكندري
– لا وجود للكدية	– الكدية متوفرة
– الحوار متوفر	– توفر الحوار بين عيسى بن هشام والبطل أبو فتح الإسكندري
– الصيغة اللفظية (السجع)	– الصيغة اللفظية (السجع)
– الراوي (ابن حمادوش)	– الراوي (عيسى بن هشام)
– يسمي بعضها ولا يسمى البعض الآخر	– تنضوي كلها تحت اسم واحد (الهمدانية)
– الهدف: غير تعليمي	– الهدف: تعليمي ، بلاغي
– لا توجد غاية	– غايتها الحيلة والخداع

2– الرسائل:

عرفت المعمورة عدّة رسائل للاتصال، حتى يبقى الإنسان على صلة دائمة مع أخيه الإنسان، ومن بين هذه الوسائل نجد الرسائل، الذي استعملها الإنسان قديما وحديثا، فقد كانت الرسائل هي البداية الأولى لنشر الدين الإسلامي عندما بعث سيد الخلق وخير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بثلاث رسائل يبلغ فيها: كسرى الفرس، وهرقل الروم، وملك الحبشة، اعتناق الدين الإسلامي، ومن هنا تميز هذا الفن شيئا فشيئا حتى أصبح بديهيا في حياة اليومية، ثم أصبح محل اهتمام العديد من الباحثين والدارسين، فوجدوا نوعين من الرسائل ديوانية وإخوانية، فالأولى موجهة للسلاطين والحكام وكبار رجال الأمة، أما الثانية فموجهة للأهل والأحباب، وتنظوي تحتها العديد من الرسائل مثل: رسائل الحب والحنين والشوق والتعزية.. تبنى الرّحالة ابن حمادوش النوع الثاني من الرسائل فذكر رحلته المدروسة رسالة إخوانية واحدة، وهي رسالة تعزية من أحد أصدقائه وأحبائه.

وقبل الخوض في هذه الرسالة يجب معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للرسائل.

أ -لغة:

الرسائل مشتقة من الجذر اللغوي (رَسَلَ)، والتَّرسُّل من الرِّسْل في الأُمور والمنطق كالتَّمهُّل والتوقرُّ والتثَبُّت، وجمع الرّسالة الرَّسائل.

قال ابن جنبة: التَّرسُّل في الكلام التَّوقرُّ والتفهمُّ والترفقُّ من غير أنّ رفع صوته شديدًا[1].

والترسُّل في الركوب: أن يتربّع ويُرْخي ثيابه على رجليه حوله[2].

والإرْسال: التوجيه، وقد أَرْسَل إليه، والاسم الرِسالة والرَّسالة والرَّسُول والرّسِيل[3].

وفي التنزيل العزيز: ﴿**إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [4].

أمّا مفهوم الرسائل عند الجوهري، فلا يكاد يختلف كثيرا عن ابن منظور فهو مشتق من الفعل الثلاثي (رَسَلَ)، والرسَلُ بالتحريك: القطيع من الإبل والغَنم[5].

وأَرْسَلْتُ فُلانًا في رِسالة ،فَهُو مُرْسَلٌ ورَسُولٌ، والجمع رُسْلُ ورُسُلُ[6].

والمُرْسَلاَتُ: الرياحُ، ويُقال الملائكةُ، والرَسُولُ أيضا: الرِسَالةُ، وقال[7]:

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (رسل) ، ج11، ص283.

2- المرجع نفسه، ص283.

3- المرجع نفسه، ص283.

4- سورة الشعراء، الآية 16.

5- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: إميل بديع يعقوب، محمد مصطفى طريفي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1999، ص1709.

6- المرجع نفسه، ص1709.

7- المرجع نفسه، ص1709.

أَلا أَبْلِغْ أَبَا عَمْرو رَسُولاَ بأنَّى عن فُتَاحَتِكم غَنُّى

يتضح من هذه المفاهيم اللغوية أنّ الرسائل مشتقة من الفعل الثلاثي (رَسَلَ)، وهي تعني التوجيه والتحريك.

ب -اصطلاحا:

تعددت المفاهيم والتعاريف الإصطلاحية للرسائل، فمنهم من يرى أن: "الرسالة ما يكتبه المرء إلى صديقه أو أهله، وتكون موجزة محدودة الموضوع، سهلة الأسلوب، خالية من التأنق اللفظي غالبا" [1]، وقد تكون: "بحث علمي يُعده طلاب الجامعات لنيل درجة عالية فوق الإجازة..." [2]، وهناك من يرى أن الرسالة: "قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة"[3].

إذا فالرسالة غرض من الأغراض النثرية المتعارف عليها، يكتبها الكاتب لغرض معين بأسلوب رشيق، وهي أيضا بحث علمي أكاديمي يقوم به الطالب لنيل درجة الماستير أو الماجستير، كمّا قد تكون كل ما يكتبه الإنسان لأخيه من أجل تهنئة أو تعزية وغيرها.

"وتنحصر رسائل التعزية في الغالب في أمور ثلاثة: تتمثل في الندب والرثاء والتعزية فالكاتب يبدأ عادة تلك الرسالة بالجزع و الهلع...فهي ترشد إلى الصبر و التسليم بقضاء

1- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، ص478.

2- المرجع نفسه، ص478.

3- الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم، العهد الموحدي، حكيمة إملولي، رسالة ماجستير في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، 2009، ص73.

الله وقدره، حيث لا مفر من ذلك، وبعث الأمل إلى نفس المعزّى من جديد وتسليته وسلوّه عمّا أصابه، وفتح عينه على أمل جديد يكون عوضا عمّن فقده"[1].

وجاء في نص رسالة التعزية للمؤلف من المفتي محمد بن الحسين ما يلي [2]: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم، إلى الجناب الكريم العالي، جامع أصناف المعالي، الذي انتهت به أماني الوداد، ومحبة الأخوة وحسن الصداقة والاعتقاد، مولانا الفاضل الكامل السيد الحسيني سيدي الحاج عبد الرزاق، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإليه، فقد بلغنا ما أحار الأذهان وأشجاها، وأطار النوم من الأجفان وأبكاها....، ولقد كانت نفسي غريقة في أبحر حزنها، والعين بحكم الرقة البشرية جائدة بواكف مزنها، حتى أدركتني محنتك وموت ولدك فأخذتني الصدمة،....، واصبر وما صبرك إلا بالله، وقال: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وقال سبحانه: فاصبر صبرا جميلا....، فهذه التسلية والتعزية من العبد الفقير الضعيف إلى مولاه الغني اللطيف، محمد بن حسين".

إفتتح المفتي رسالته بالبسملة والحمدلة والصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذكر المرسل والمرسل إليه، فالمرسل هنا هو المفتي محمد بن الحسين والمرسل إليه هو عبد الرزاق ابن حمادوش، وكانت رسالة مبنية على مبالغة الشديدة في تصوير حزنه، كأنّ المفتي كتبها من أجل السجع، إلا أنّ هذه المبالغة الشديدة تحمل في طياتها شحنة عاطفية صادقة، كما أنّها تتضمن آيات من القرآن الكريم واقتباسات، والشيء الملفت للانتباه أن نهايات الرسائل الإخوانية: "لم تلتزم السلام في الختام منهجا، فهي مرة

1- الرسائل الفنية في العصر المملوكي، سلامة هليل عيد الغريب، دار الحامد، عمان، الأردن، ط 1، 2014، ص130،131.

2- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص150،151.

تسلم بإيجاز وثانية تطنب فيه وأخرى لا تذكره البتة" [1]، وهذا ما نجده في الرسالة المذكورة سلفا.

3- عقود الزواج:

موضوع عقود الزواج في الحياة الإنسانية من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة، وقد أعطى الباحثين القدامى والمحدثين الأولية لهذه الدراسة باعتبارها أهم الظواهر الاجتماعية والدينية في بناء المجتمعات والأمم.

ويُعدُّ كتاب الله (القرآن) من أهم وأعظم الكتب الذي اعتنى بعقد الزواج، فشرعه وفرضه الله على عباده حتى لا يقعوا في الرذيلة والخطيئة، لأن فيه حفظ النسل، وكذلك حفظ للحياة الاجتماعية والقيم الأخلاقية للمجتمع فذكر القرآن الكريم في أكثر من موضع، وبمرادفاته المختلفة مثل: النكاح.

قال تعالى: ﴿ **أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ [2]، ﴿**وَأَنَّه خَلَقَ الزَّوجَين الذَّكَرَ وَالأُنْثَى**﴾[3]، وقال: ﴿**وَإِنْ أَرَدْتُم استبدَالَ زَوْج مكَانَ زَوجٍ** ﴾ [4]، وقال أيضا: ﴿**يَا أَيُها الذينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُم المُؤمِنَاتَ**﴾ [5]. والمقصود إذا تزوجتم المؤمنات.

1- في أدب المغاربة والأندلسيين، دراسات فنية، عبد العزيز بومهرة، فريدة زرقين، المعارف للطباعة، الجزائر، ط1، (د.ت)، ص16،17.

2- سورة ق، الآية 07.

3- سورة النجم، الآية 45.

4- سورة النساء، الآية 20.

5- سورة الأحزاب، الآية 49.

فعقد الزواج "عقد ينشئ بين الرجل والمرأة حقوقا شرعية تقوم على المودة والرحمة والإحسان"[1].

وهو أيضا: "عقد رضائي يتم بين رجل وإمرأة على الوجه الشرعي، من أهدافه تكوين أسرة أساسها المودة والرحمة والتعاون وإحصان الزوجين من المحافظة على الأنساب"[2].

يتضح من هذين التعريفين أنّ عقد الزواج هو علاقة تنشأ بين الرجل والمرأة هدفها بناء أسرة، تتميز بالانسجام والتكامل.

كانت الدراسات حول عقود الزواج في الجزائر قليلة ومحتشمة، وهذا راجع إلى طبيعة الفرد الجزائري الذي يخشى البحث في مثل هذه الدراسات، باعتباره إنسان كتوم في هذا المجال، ويعدّه خصوصية من الخصوصيات التي لا يجب التدخل فيها، وبعدها بلغت هذه الدراسات أرقى مستوياتها مع ظهور ما يسمى بعلم الأنتربولوجيا.

ومع كلّ هذا الغموض الذي كان سائد في الحياة الإجتماعية الجزائرية إلا أنّنا نجد ابن حمادوش اهتم بكتابة عقود الزواج في رحلته "نصوص لعقود زواج مختلفة منها الفقهي التقليدي، ومنها الأدبي الإجتماعي، ومنها الذي كتب لبكر، والذي كتب لثيب، ومنها القصير ومنها المطول، وجميعها تصلح نموذجا لدراسة الحياة الإجتماعية"[3].

1- عقود الزواج المعاصرة في الفقة الإسلامي، سمية عبد الرحمن عطية بحر، رسالة ماجستير في الفقه المقارن، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، غزة، 2006، ص07.

2- الخطبة والزواج في الفقه المالكي، بلقاسم شتوان، دار الفجر، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص98.

3- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان ،ط 1،،1983 ج2، ص187.

أورد ابن حمادوش في عقود الزواج الذي دونها في رحلته شروط وأركان الزواج المتعارف عليها شرعا (الولي، الصداق، الشاهدين، رضا الزوجين).

كمّا اختلفت صيغة عقود الزواج من عقد لآخر، واختلف كذلك الصداق كل حسب مقدوره، وحاله الإقتصادي والإجتماعي، فأول صيغة أوردها ابن حمادوش، عقد زواج البكر رقية بنت الشيخ الهمام أبي عبد الله السيد محمد المقري، وصيغة الزواج هذه كتبها ابن عبد المؤمن، وكتب في بداية صيغة العقد عبارة "بكر في الحجر، عقد نكاح: ثلاثة أسطر حمر ومثلها كُحل"[1].

ثم مهد بمقدمة طويلة، حيث كُتبت بأسلوب مسجوع وسلامة في اللغة والتعبير وإختار ألفاظ وكلمات راقية تتماشى مع المقام: "الحمد لله المؤلف بين القلوب، العالم بأسرار الغيوب، المفيض المودة والرحمة بين القبائل والشعوب، والصلاة والسلام على خير الأنام، صاحب الحوض والمقام، صلاة وسلاما يتعاقبان بتعاقب الشهور والأعوام، وعلى آله وأصحابه الذين ألبسهم الفضل الشهير واختارهم له عقدا وظهيرا ،و أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، وخلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا"[2].

كما واصل المجاملة في البكر إلى أنّ وصل إلى الصداق، وكان صداق رقية "بين نقد محضر وحال منظر وكال مؤخر ألف دينار واحد ومائتا دينار، ثنتان كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة التاريخ، وقفطانان اثنان أحدهما موبر، والآخر أطلس، وأربع أواق جوهرا، وأربعة أفراد ستيني، وأمتان اثنتان من رقيق السودان، وأربعة قناطير صوف"[3].

1- لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص238.
2- المصدر نفسه، ص238.
3- المصدر نفسه، ص239.

دون أن ننسى أركان الزواج الأخرى مثل الولي الذي يُعدُّ من أهم أركان الزواج خاصة بالنسبة للمرأة والمتمثل عادة في (الأب، الأخ، العم، الخال، الجد)، فولي البكر رقية كان والدها "الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، سليل العلماء الأعلام، أبي عبد الله السيد محمد المقري" [1]، ويشترط في الولي (العقل، البلوغ،...).

كما يستوجب في كل عقد زواج حضور شهود، فالشهادة شرطا أساسيا لصحة العقد، فشهد على عقد زواج البكر رقية بنت الهمام "خال الزوج وحاجره، وهو الفقيه العالم الخطيب الواعظ مفتي المالكية في التاريخ أبو عبد الله أحمد ابن الشيخ الإمام أبي عثمان سيدي سعيد"[2].

وأهم ركن في الزواج هو رضا الزوجين، فقد شرع الله هذه العلاقة بين أحكام شرعية متينة حتى تدوم المودة والرحمة بين الزوجين فدون رضا الزوجين تكون أسرة متخلخلة لا تربطها أواصر، وعلاقات متينة.

كما ذكر ابن حمادوش كذلك في رحلته عقد زواجه الأول والثاني وعقد زواج أخته إلى جانب عقد زواج رقية بنت الهمام.

صيغة زواج رقية[3]:

- اسم الزوج: أبو زيد السيد عبد الرحمن.
- اسم والده: أبو العباس السيد أحمد الشريف المرتضي.
- مهنته: فقيه.
- اسم الزوجة: رقية.

1- المصدر السابق، ص239.

2- المصدر نفسه، ص240،241.

3- المصدر نفسه، ص239.

-اسم والدها: عبد الله السيد محمد المقري.

صيغة زواج ابن حمادوش (الأول) [1]:

-اسم الزوج: عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري.

-اسم والده: الحاج محمد ابن حمادوش.

-مهنته: دباغ.

-اسم الزوجة: فاطمة.

-اسم والدها: الحاج أحمد الدباغ.

صيغة زواج ابن حمادوش (الثاني) [2]:

-اسم الزوج: عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري.

-اسم والده: الحاج محمد ابن حمادوش.

-مهنته: دباغ.

-اسم الزوجة: زهرة.

-اسم والدها: محمد.

صيغة زواج أخت ابن حمادوش[3]:

-اسم الزوج: السيد علي الحرار.

-اسم والده: الحاج علي أمين الحراريين.

-مهنته: الحرارة.

-اسم الزوجة: آسيا.

1- المصدر السابق، ص242.

2- المصدر نفسه، ص242.

3- المصدر نفسه، ص243.

-اسم والدها: الحاج محمد الدباغ ابن حمادوش.

والفرق في هذه العقود يكمن في قيمة الصداق المقدم، وهذا الاختلاف على النحو الآتي:

صيغة زواج رقية[1]:

-المبلغ المالي: ألف دينار ومائتا دينار.
-قفطانان اثنان: احدهما موبر والآخر أطلس.
-أربع أوراق جوهرا.
-أربع أفراد ستيني.
-أربع قناطير صوف.
-أمتان اثنان من رقيق السودان.

صيغة زواج ابن حمادوش (الأول)[2]:

-قفطان واحد: موبر.
-فردان اثنان.
-ثلاثة قناطير صوف.
-أو قيتين جوهرا.
-أمة واحدة من رقيق السودان.

صيغة زواج ابن حمادوش (الثاني) [3]:

-المبلغ المالي: أربعمائة دينار.

1- المصدر السابق، ص239.
2- المصدر نفسه، ص241.
3- المصدر نفسه، ص241.

-قفطان واحد: كمخة.

صيغة زواج أخت ابن حمادوش[1]:

-المبلغ المالي: أربعمائة دينار.

-قفطان واحد: قطيفة.

-فردان اثنان.

-قنطارين من الصوف.

-أوقية واحدة جوهرا.

-امة واحدة.

إذا كانت هذه دراسة سطحية نوعا ما عن عقود الزواج الذي أتى بها ابن حمادوش في رحلته، والملفت لهذه العقود يلحظ أن القفطان لا يخلو من أي عقد، وهذا دليل على أن القفطان شرط أساسي في الصداق المقدم للمرأة، أمّا من ناحية الأسلوب الذي اعتمده الرّحالة، فقد كان سهل وبسيط، وبهذا يكون ابن حمادوش قدم للقارئ نوعا جديدا من فنون النثر المتمثل في عقود الزواج.

4- الإجازات:

تُعدُّ الإجازة بمثابة الشهادة العلمية التي يقدمها الأستاذ لتلميذه، حتى يشتغل بنقل العلوم فيروى عنه أو عن غيره، فقد مثلت أحد دعائم التقاليد الراسخة للمدرسة في الحضارة الجزائرية، وكانت هناك عدّة دراسات عن هذا الموضوع منها دراسة "أبو القاسم سعد الله" في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" الذي خصص جزء منه لدراسة الإجازة، وكذلك ذكر ابن حمادوش في رحلته أكثر من إجازة، وقبل الحديث عن الإجازات

1- المصدر السابق، ص243.

المخصصة لابن حمادوش في رحلته، وجب علينا معرفة المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإجازة.

أ -لغة:

يُقال: "أجاز السلطان فلانًا بجائزةٍ: أصل الجائزةِ أن يعطي الرجلُ الرجلَ ماء ويُجيزه ليذهب لوجهه... أَجِزني ماء أي أعطني ماء حتى أَذهب لوجهي وأجُوز عنك، ثم هكذا حتى سَمُوا العطية جائِزةً"[1].

تحمل هنا الإجازة معنى العطية أي الهدية والجائزة.

وهناك من يرى أنّ الإجازة كلام العرب مأخوذ من الجواز، والجواز: "الماءُ الذي يُسْقاهُ المالُ من الماشية والحَرْث، يقال منه استَجزْت فلانا فأجازني، إذا أسْقاك ماءَ لأَرضِكَ أو ماشيتكَ"[2].

وهذا المفهوم ينطبق على طالب العلم عندما يطلب من أستاذه أن يجيزه علمه فيجيزه إياه.

والإجازة في الشعر: "أنّ يكون الحرف الذي يلي حرفّ الروي مضمومًا ثم يكسر أو يفتح ويكون حرف الروي مقيدا"[3].

ب -اصطلاحا:

أمَّا الإجازة اصطلاحا فقد عُرّفت بأنّها:

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (جَوَزَ)، ج5، ص227.

2- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان، (د.ط)، 1979، ج1، ص494.

3- لسان العرب، ابن منظور، مادة (جَوَزَ)، ج5، ص330.

"رسائل يكتبها الشيوخ إلى طلبتهم يكون موضوعها مرتبط بالمستوى التحصيلي الذي بلغ شأوه ذلك الطالب، حيث تنظّم درجات المتعلمين، وتبيّن المكانة التي يرتقون إليها، فهي على هذا النحو متنوعة تبعا لتنوع الغرض الذي تتضمّنه، فتتوزع هذه الإجازات على: الإجازة بالفتيا والتدريس، وهي أعلى هذه الإجازات، تليها الإجازة بالعراضة، ثم الإجازة بالمرويّات، ولكل منها حدّ يميزها عن غيرها"[1].

إذا الإجازة عبارة عن شهادة يقدمها الأستاذ إلى تلميذه، عندما يرى في هذا التلميذ علامات النبوغ، وقدرة الطالب على تحمل عبء هذه الدرجة وهي أنواع، كما ذكرنا سابقا، فمثلا الإجازة بالفتيا والتدريس "تمنح لطالب عندما يشعر شيخه أنه يمكن الركون إليه في الجلوس للتدريس والفتيا... يدبّج إليه رسالة يُجسد من خلالها إجازته بممارسة تلك المهنة محذرة من المزالق التي قد تصادفه في مسيرته" [2]، أمّا الإجازة بعراضة الكتب "فيحفظ الطالب كتابا في الفقه أو الحديث أو الأدب أو النحو أو التاريخ، ثم يعرضه على مدرسه فيختبره فيه في عدّة أماكن من الكتاب، فإذا أحسن الإجابة ولم يخطئ فيه كتب له الإجازة في ذلك وقال فيها "عرض على فلان...." أو "عرض علي كتبه فلان"...."[3].

إذا الإجازة بشكل عام هي: "الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشائه الإذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالا بمروياته، ويطلق شائعا على كتابه هذا الإذن

1- الرسائل الفنية في العصر المملوكي، سلامة هليل عيد الغريب، ص190.

2- المرجع نفسه، ص190.

3- الأدب في بلاد الشام (عصر الزنكيين والأيوبيين والممالك)، عمر موسى باشا، المكتبة العباسية، دمشق، ط2، 1972، ص119.

المشتملة على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الإذن في روايتها عن المجيز إجمالا وتفضيلا وعلى ذكر المشايخ كل واحد من هؤلاء بعد طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد"[1].

إذا الإجازة أصلا من أصول التعليم، كمّا أنّها شهادة يمنحها المدرس لتلميذه ليخوله حق التدريس أو الفتيا.

-ظهر اهتمام الرّحالة بهذا النوع من النثر – الإجازة – واضحا حيث دون في رحلته عدد من الإجازات، وعادة ما تكتب الإجازة بإتقان، حيث يلتزم فيها الكاتب بالسجع والصور البديعية وغيرها، وتكون شفهية أو مكتوبة، كمّا يكون بناؤها بناءا محكما، فمثلا تبدأ بالحمدلة وهذا ما أثبته ابن حمادوش.

إجازة الشيخ الورززي للمؤلف (ابن حمادوش):

بدأ الشيخ إجازته بالحمدلة والصلاة على النبي: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله"[2].

ثم قال الشيخ: "إن الشريف الفاضل العلامة سيدنا ومولانا عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري دارا ومنشأ، رغب أن يسمع مني ما سهل الله سبحانه من الحديث مما سمعته عن أشياخي رحمنا الله وأياهم، فأسعفته في رغبته فأسمعته بعض موطأ مالك ابن أنس، رضي الله عنه...." [3].

1- في مشروع الخطاب القديم في الجزائر، في عنوان في الإجازة عند أحمد المقري التلمساني، فضيلة عماري، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2010، ص10.
2- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص37.
3- المصدر نفسه، ص37.

ثم أجاز الشيخ ابن حمادوش: "فأجزته أن يروي عني الكتب الستة، أعني البخاري ومسلما وأبا داود والترميذي والنسائي وابن ماجة، وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل"[1].

ثم ذكر الشيخ الورززي أنه أجاز الشريف الفاضل بكل ما صح له روايته "من جملة ما في فهرسة الإمام ابن غازي المكناسي.... والشيخ المدني"[2].

ثم ختم الشيخ نص الإجازة بالدعاء والصلاة على النبي والتاريخ.

وهذه الصورة بسيطة لإجازة الشيخ الورززي للمؤلف.

المجيز: الشيخ الورززي.

المجاز له: عبد الرزاق بن محمد حمادوش الجزائري.

المجاز به: المرويات مثل: الكتب الستة....

الصيغة: لفظة الإجازة وكانت هذه الإجازة كتابية.

إجازة البناني للمؤلف (ابن حمادوش):

-بدأ نص الإجازة كالعادة دائما بالحمدلة والصلاة على النبي "الحمد لله الذي شيد بصحيح الأسناد منار الإسلام ورفع دعائمه على كواهل صدور أيمته الأعلام، والصلاة والسلام على خير من أجاز السائل بأفضل مما رام، وعلى آله وأصحابه السادات الكرام"[3].

1- المصدر السابق، ص37.

2- المصدر نفسه، ص37.

3- المصدر نفسه، ص62.

-ثم أثنى على ابن حمادوش: "إن الفقيه الأجل، العلامة الأفضل، المدرس الأحفل، الشريف الأمثل، السيد عبد الرزاق الجزائري"[1].

-ثم أشاد به وبحرصه "لقد لمع برق نجابته، وقارب الكمال بدر درايته، واشتد في غالب الفنون المتداولة في الوقت ساعده، وتأهل لأن يؤخذ عنه مما يحاوله فن العلوم فوائده، ولعمري لهو أهل لذلك، وسالك في تأهله له أحس المسالك"[2].

-ثم لفظ الشيخ الصيغة وتتمثل في "أجزت الفقيه المذكور جميع ما يجوز لي وعني، روايته مقروء ومسموع ومجاز، وأذنت له أن يحدث عني بكل ما سمعه مني أو بلغه عني من مؤلفات ومنتاولات كشرحنا على كتاب الاكتفا للإمام الكلاعي،....، إجازة تامة مطلقة عامة"[3].

-وفي الختام طلب الشيخ من ابن حمادوش أن لا ينساه في دعائه وأوصاه بما فيه خيرا، وبعدها صلى على النبي وسلم عليه.

-ثم دون تاريخ كتابة الإجازة وهو آخر ما يكتب في كلّ إجازة.

وهناك في الرحلة إجازات أخرى كتبت بطريقة البناء نفسه الذي كتب بها الشيخ الورززي والبناني إجازاتهما.

إذًا للإجازة بناء خاص، فهي تبدأ بالحمدلة والصلاة على النبي، ثم ذكر السماع والرواية، ولفظ الإجازة والواجبات المترتبة على المجاز بعد نيله حق الإجازة.

وفي الأخير يمكننا القول بأن الإجازة بإعتبارها نوع من أنواع الرسائل، فهي تشبهها في البناء- المقدمة، العرض، الخاتمة- حيث تنطلق من المقدمة وتكون فيها الحمدلة والبسملة والصلاة والسلام على خير الآنام حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي

1- المصدر السابق، ص62.

2- المصدر نفسه، ص62.

3- المصدر نفسه، ص63.

بعض الأحيان يذكر اسم المجاز في المقدمة، مروا بالعرض الذي غالبا ما يذكر فيه الشيخ اسم المجاز له والثناء عليه (بأنه يستحق هذه الإجازة)، ثم لفظ الإجازة مع المرويّات، وذكر اسم بعض الشيوخ الذي يسمع منهم وروى عنه الأستاذ في حدّ ذاته، وصولا إلى الخاتمة الذي يطلب فيها المجيز من المجاز الدعاء له، والثناء على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر تاريخ كتابة أو إصدار نص الإجازة.

5- القصص:

إنّ القصة نوع أدبي معروف منذ الأزل، فقد عرفنا قصص وحكايات كثيرة وقديمة، من مثل قصص شهرزاد للملك شهريار، وكليلة ودمنة، وقصص الأنباء، التي خلدتها كتب التاريخ والسير وغيرها، فهناك قصص لا تُعدُّ ولا تُحصى من الشرق إلى الغرب، ومن الخليج إلى المحيط، ولقد ساعد إنتشار هذا النوع الأدبي عدّة أسباب وعوامل، نذكر منها المجلدات والصحف وحتى الترجمة، وهذا نتيجة احتكاك الشرق بالغرب والعكس، دون أنّ ننسى العامل المهم في تناقل فن القصة وهي الرّحلات فقد كان الرّحالة ينقل كلّ الأخبار ويقص على مّا رأى وسمع عن كلّ مكان يقطن فيه أو يمر به، مثلما فعل رحالتنا عبد الرزاق بن حمادوش، فقبل معرفة القصص والحكايات التي نقلها في رحلته سنتطرق أولا إلى ماهية القصة.

أ -لغة:

جاء في لسان العرب أن: "القَصُّ فعل القاصّ إذا قَصّ القِصَصَ والقِصّة معروفة، ويقال: في رأسه قِصةٌ يعني الجملة من الكلام"[1]، ونحوه قوله تعالى: ﴿**ونَحن نَقُصُّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القَصَصِ**﴾ [2].

1- لسان العرب، ابن منظور، (مادة قَصَصَ) ،ج7، ص73.

2- سورة يوسف، الآية 26.

ويقال: "قَصَصْتُ الشيءَ إذًا تَتَبعْتُ أَثَرَهُ"[1].

من خلال هذا التعريف يتبين أن القصة: هي مجموعة من الجمل التي تشكل بدورها كلام، أو هي إتباع أثر الشيء.

ب -اصطلاحا:

توجد تعاريف كثيرة للقصة، فكل باحث أو أديب أو ناقد يعرفها حسب وجهة نظره، فنجد "أدجار آلن بو" يعرفها بأنّها: "عمل روائي نثري يستدعي لقراءته المستأنية ساعة أو ساعتين"[2].

وهذا ما حدده أيضا "هـــ. ج. ويلز" بأنّها: "قطعة وصورة قصيرة يمكن قراءتها في نصف ساعة"[3].

يتضح من خلال هذين التعريفين أنّ القصة هي كلّ عمل لا تستغرق قراءته أكثر من ساعة.

أما "الطاهر مكي" فيرى أنها: "جنس أدبي محدد، وقد حصرها في عشرة حدود هي: حكاية أدبية تدرك لتقص، قصيرة نسبيا، ذات خطة بسيطة، وحدث محدد حول جانب من الحياة لا في واقعها العادي والمنطقي، وإنما طبقا لنظرة مثالية ورمزية لا تنمي أحداثا وبيئات وشخوصا، وإنما توجز في لحظة واحدة حدثا ذا معنى كبير"[4].

1- أدب الطفل في الجزائر، محمد الطاهر بوشمال، مذكرة رسالة ماجستير في الأدب الجزائري، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، باتنة، 2010، ص25.

2- فن كتابة القصة القصيرة، علي عبد الجليل، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، (د.ط)، 2005، ص19.

3- المرجع نفسه، ص19.

4- البنية السردية للقصة القصيرة، عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 3، 2005، ص60،61.

ومن هذا التعريف تبين أنّ القصة هي كلّ حكاية أدبية، كما أنّها قصيرة، تصور جانبا من جوانب الحياة.

وهناك من ذهب إلى أن القصة: "شيء يبنيه القارئ من الألفاظ الموجودة في النص بعملية استنباطية قائمة على ما اكتسب من مهارة يمكن تنميتها من خلال معرفته بالنصوص الأدبية وتقاليدها"[1].

أي أن القصة هي كل ما يكونه القارئ من أفكار.

أما "سعيد علوش" فيرى أنّها: "عالم سيميائي، يعتبر موضوعا للمعرفة ويقوم على تمفصل العناصر"[2].

وآخر يراها أنّها: "تعني الخبر الذي يتألف من أحداث يتبعها القاص بالألفاظ والمعاني، ويوردها على مسامع الناس فيحفظونها، وقد تكتب أيضا"[3].

وهناك من يرى بأنّ القصة اليوم صارت "وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والعلوم والفلسفات"[4].

إذا القصة هي الخبر الذي يلقى على الناس مشافهة وبعد حفظه قد يدونوه، كما أنّها أصبحت بمثابة وسيلة اتصال بين الحضارات والأمم، ونشر كلّ الثقافات والمعارف....

1- نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، السيد إبراهيم، دار أنباء، القاهرة، (د.ط)،1998، ص97.

2- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص179.

3- الفن القصصي في النثر العربي، حتى مطلع القرن الخامس الهجري، ركان الصفدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د.ط)، 2011، ص20.

4- أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، (د.ت)، ص132.

لعبت القصة دورا كبيرا في إثراء الرصيد المعرفي للإنسان الجزائري، كما أنّها عالجت جميع الجوانب الحياتية للمجتمع (الإقتصادي، والإجتماعي، والسياسي والديني...).

كانت القصة بمثابة رمز يتخفى وراءها الكاتب حتى يكشف المستور بطريقة غير مباشرة، كما نوع الكاتب الجزائري في هذه القصص فمنها الواقعية الحقيقية ومنها الخيالية الخرافية، فالواقعية تنشأ من الواقع تكون حقيقية وعن تجربة قام بها أحد الأفراد، أمَّا الخيالية الخرافية فتُقص لتسلية لا أكثر مثل قصة طائر العنقاء الأسطوري الذي يُقال عنه أنَّه لا يموت إلا بالحرق، وبعد موته يبعث من جديد.

والهدف الأساسي للقصة هو أخذ العبرة من المواقف التي تصادف البطل.

من الأدباء والرحالة الجزائريين الذين وظفوا القصص بكثرة في مدونتهم نجد الرحالة عبد الرزاق ابن حمادوش حيث ذكر في رحلته عدّة قصص وحكايات فذكر قصة لطيفة وحكاية العنقاء، وقصة الفيل، وقصة الخيزران،....، كمّا أورد ابن حمادوش قصة من كتاب "الدار الفائق" تقول: "ويوم الأربعاء ثاني الشهر المذكور ابتدأت ليلته كتاب الدار الفائق في المواعظ والرقائق محتو على ثمانين حكاية سرد، ومن أغرب ما فيه من الحكايات القصار حكاية ولد التاجر مع بنت التاجر آخر كانت تهواه وشغفت به، ففي ذات يوم فقدته، وكان لا يفارقها فسألت عنه فقيل أنه خرج سكرانا، وتعدى على شخص فمسكه الوالي فلبست ثيابها وذهبت إلى الوالي باكية كئيبة،...، كلما رآها شغف بها، فقال لها أن أرادت ذلك فادخلي معي المنزل، فقالت له إني لست من تلك النسوة وأنما أن صينة، فقال لها ولابد،....، فبعث كل واحد من أولئك إلى منزله فجئ له بثياب آخر وذهبوا، ولم يعلموا للمرأة خبرا"[1].

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص100-102.

كان الهدف من هذه القصة أخذ العبرة والوعظ والإرشاد كما تحمل قضية أخلاقية، وهي طمع كبار الدولة في بنت التاجر بسبب جمالها إلا أنّها أوقعت بهم في مكيدة، وكشفهم أمام الجميع، حتى يبقوا عبرة لأمثالهم، وكتبت هذه القصة بأسلوب رشيق وألفاظ سهلة تسهل على القارئ قراءتها، كما أنّها تحتوي على خصائص القصة مثل الشخصيات، والحوار...

الفصل الثاني:

الأغراض الشعرية في رحلة

ابن حمادوش

توطئة.

1- المدح

2- الفخر

3- الهجاء

4- الرثاء

5- الحنين إلى الأهل والوطن

6- الألغاز

توطئة:

تنوعت الأغراض الشعرية من عصر لآخر، وبرز في كلّ غرض عدد من الشعراء، وكانت الأغراض الشعرية ذائعة الصيت منذ القديم وبخاصة في العصر الجاهلي، فكان كلّ غرض مخصص لفئة معينة، فالمدح للحكام والكبار والأعيان، والهجاء كان شائعا بين الأعداء والأضداد من الناس، والفخر كان بالأنساب والحساب والأصل والمنبت، والرثاء كان عند فقدان العزيز والبكاء على الديار، والحنين كان للأهل والأحباب والوطن والغزل كان عن النساء والصبابة والشوق والهيام، والألغاز كانت للتسلية والذكاء، والاعتذار كان استعطاف لأمير أو غيره، والحماسة إفتخار بخوض المعارك والإنتصارات في الحروب .... كانت هذه أغلب الأغراض الشعرية، التي تناولها الشاعر العربي، بغض النظر عن أغراض أخرى مثل الزهد والوصف وغيرهما.

كمّا نجد هذه الأغراض موجودة في المدونة الشعرية الجزائرية منذ القديم إلى اليوم، فالرّحالة الجزائري ابن حمادوش نوع بينها في رحلته "لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال".

الأغراض الشعرية:

1- المدح:

كان المدح وما يزال غرضا شعريا إنسانيا، يُعبر به الشاعر عن وصف حالة من الحالات، تتسم بأخلاق حميدة، وهو من الأغراض التي عرفت تطورا كبيرا في العصر العباسي بخاصة، وكان المتنبي أبو هذا الغرض عند مدحه لسيف الدولة، وسنرى كيف وظف ابن حمادوش هذا الغرض في رحلته،؟ وقبل التحدث عن هذا، كيف قُدم المدح من الجانب اللغوي والاصطلاحي؟.

أ -لغة:

في لسان العرب: "المدحُ نفيض الهجاء وهو حُسْنُ الثناء ويُقَال: تَمَدّح الرجل بما ليس عنده: تَشَبَّع وافتخر، ويُقال كذلك: فُلان يَتَمَدَّحُ إذا كان يُقَرَّظَ نفسه ويثني عليها"[1].

أما القاموس المحيط فقد اتفق مع لسان العرب في المفهوم، فيقال: "مَدَحه: أَحْسَنَ الثناءَ عليه، وتَمَدَّح تَكَلَّف أن يُمَدَحُ وافْتَخَر وتَشَبعَ بما ليس عنده"[2].

إذا المدح هو التغني والإفتخار بصفات شخص ما، علما أنّ هذه الصفات لا يمتلكها الشخص الذي قام بالثناء والشكر للممدوح.

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة(مَدَحَ)، ج2، ص590.

2- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ج1، ص246.

ب -اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فهو: "من محاسن الكلام" [1]، وكذلك: "وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها، ويكون نعتا حميد"[2].

إذًا المدح من جميل الكلام، يلجأ إليه الشاعر لغرض الشكر والتكسب.

كان توظيف المدح في المدونة الجزائرية كثير لاسيّما ما كان موجها للحكام والأعيان والكبار، وكان ابن حمادوش أكبر نموذج على ذلك حيث قدم في رحلته عدّة قصائد تنتمي إلى هذا الغرض لشيوخه الذين أجازوه، فتعلم منهم العلم، فلما انتفع منهم قال فيهم ما يجب أن يُقال كتعبير للشكر والإعجاب بهم هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك قصائد مدح نُظمت للتكسب لا أكثر.

من القصائد التي نظمها ابن حمادوش للشكر والإعجاب قصيدة لشيخه البناني قال فيها [3]: (البحر الطويل).

سَمَوْتَ فَلَمْ يَكُن بِقربكَ نَازِلُ ... فَكُنتَ فِي أوجِّ العزِ تمطُر بالسُّؤلِ

فَأنتَ هُو الشَمْسِ المُنيرة فِي الوَرى ... لكهفكَ قد تَساوى الرِكائبُ لِلظلِ

طَلعت بِأرْضِ الغربِ كُنْتَ نَهارَهم ... فَفِي نُورك الإسلامِ تذهب فِي السُبْلِ

وَقَدْ حَسد الشَرق المغارَب فَيْكُم ... فَأرسلنِي نَروي الروَاية بِالنقِلِ

رَددت بِنُور العِلم شُموسِهم ... فَطالت لَياليهُم وَملوا مِن اللَيْلِ

1- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، (د.ط)، ج3، ص238.

2- بين التاريخ والشعر في خلافة بني العباس، عبد الله التطاوي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2000، ص09.

3- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص39.

أَيَّا شَيْخنَا البَنانِي الاسْم محمَد فَقَد شَهِدت لكَ الأَكابِرُ بِالفضلِ
كَأَنَّكَ لُقْمان فِي عِلْمِك وَالهُدى أَوْ أَنَّك حَسان إِذا فَهمت بِالقولِ

إلى أنْ يقول[1]:

علَيْكم سَلام الله فِي كلِّ لحْظة وأتْباعك النجل الشَرِيف عَلى الفِعْلِ
وَصَل إِله العَرْش عَنْ خَيْر مُرسل وَأفضل مَنْ حَاز الشَفاعة فِي الرسلِ

في هذه القصيدة أراد ابن حمادوش أن يشكر البناني عندما قدم له إجازة فوصفه بأوصاف تليق به (أنت الشمسي المنيرة، كأنَّك لقمان في علمك،....) فقد كان مدح بدافع الشكر والإعجاب لا أكثر.

كما نظم قصيدة أخرى للشيخ أحمد بن المبارك، فاق فيها المدح القصيدة الأولى حتى أنّ الممدوح نفسه لم يصدق ما كتب عنه، حتى قال بن المبارك: "أنّي لم أبلغ ما قلت، فقلت له: أقبله مني، وإلا أنت فوق ما قلت" [2]، وجاء في هذه القصيدة ما يأتي [3]: (البحر الطويل).

أَيَّا شَيْخَنا شَيْخُ البَربة كُلَها أَسَيّد أَحمدُ المبارك فِي الدَّهري
عَلوت عَلى أَعلا ذرى المَجْدِ رفعَة فَكُنْت فِي أوجِ العزِ كَالكوكبِ الذرِي
وكُنت نَسيج وَحدك اليَوْم فِي العدِى وَمِن أَيْنَ للإِسلامِ مِثلكَ كَالنيرِي

إلى أنْ يقول[4]:

وخَلدْ بِه تِلْكَ المحَاسُن كُلها وَأشْيَاخك أولُوا المَكَارِم فِي الذِكرى

1- المصدر السابق، ص39.
2- المصدر نفسه، ص83.
3- المصدر نفسه، ص83.
4- المصدر نفسه، ص83.

ورِضْوانَه عَنكُم وكُلّ مَشَائِخي إلى سيدِ الأكْوانِ ذِي البِر واليسري

وفي مواضع أخرى من الرّحلة كان المدح وسيلة للكسب، وهذا ما نجده في قصيدة ابن حمادوش لعبد الله جنان.

2- الفخر:

الفخر صفة لصيقة في الإنسان منذ الولادة، فهي صفة لا تكتسب بل هي فطرية في الإنسان، فكل نفس تحب التطلع إلى ذاتها، كما أنّه غرض شعري عُرف أكثر في العصر الجاهلي، من خلال تفاخر العرب بنسبهم وبطولاتهم، ولمعرفة هذا المصطلح أكثر، سنعرج عليه لغويا واصطلاحيا، كما أننا سنحاول معرفة كيف تعامل رحالتنا عبد الرزاق ابن حمادوش مع هذا الغرض؟

أ -لغة:

جاء في كتاب العين: فَخْر: "فَخِيرُكَ: مُفاخِرُكَ، كالخَصيم، تقول: فاخَرْتُه ففَخَرتُه، وهو نَشْر المناقِب وذكر الكريم بالكَرَم"[1].

والفَخْرُ في لسان العرب هو: "التمدُّح بالخِصال والافتخارُ وعَدُّ القديم وتَفاخَرَ القومُ، فَخَرَ بعضهم على بعض"[2].

"والتَفاخُرُ: التعاظَم، والفَخُرُ: ادّعاء العظم والكبر والشرف"[3].

وجاء في التنزيل الكريم: ﴿**إنّ الله لا يُحِبُ كُلَّ مُخْتال فَخُور**﴾ [4].

1- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج3، ص305.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة (فخر) ،ج5، ص48.

3- المرجع نفسه، ص49.

4- سورة لقمان، الآية 18.

وقوله أيضا: ﴿خَلَقَ الإنْسَانُ مِنْ صلْصَالٍ كَالفَخَّارِ﴾ [1].

إذا فالفخر هو ذكر الصفات الجيدة والحميدة، وكذلك التمدح بالخصال الحسنة.

ب -اصطلاحا:

هناك عدّة تعاريف إلا أنّنا سنكتفي بالقليل حتى لا نتشعب أكثر، فهناك من يرى أنّ الفخر هو: "تعداد الصفات وتحسين السيئات، وهو رفيق الآداب كلها منذ كان للشعوب آداب، وهو عند العرب باب واسع من أبواب شعرهم، يعبر عن ميلهم الطبيعي إلى الأنفة والعزة، كما يعبر عن انتفاخة أعصابهم تحت تأثير العوامل الجوية والطبيعية"[2].

وآخر يرى أن المُفاخَرة: "مصدر فاخر، وهي تفاخر القوم بعضهم على بعض، وكانوا يفاخرون بالحسب والشرف والأخلاق الكريمة والعز والثروة والكثرة والعدد"[3].

إنّ الفخر هو باب من أبواب الشعر العربي القديم، وهو تعبير عن الأنفة والعزة العربية.

كان الفخر عادة أصيلة عند العرب، فافتخروا بالنسب والحسب والأصل، وهو ما نجده عند ابن حمادوش عندما افتخر بنفسه، إلا أنّنا لم نجد في هذه الرحلة سوى قصيدة فخر واحدة، وهذا إنّ دل على شيء إنّما يدل على تواضع وشهامة المؤلف.

ومن ذلك قوله[4]: (البحر الطويل).

خَرجْت ذليلاً لا أعُودُ لِمثْلِها وهَل يَجمعُ السَّيفَان، وَيْحكَ، فِي غمدِ

1- سورة الرحمن، الآية 14.

2- الفخر والحماسة، حنا الفاخوري، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980، ص05.

3- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجبل، بيروت، ط 1، 1992، ص186.

4- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص256.

فإنّي من اللائين فَوْقَ الثَرى تَرى وأنفسنا فِي العرشِ تَابعةِ المجدِ
بَنا جَدنا فِي العَالياتِ قُصورنا فَلاَ نَرتَضِي الأَدنى كبارًا وفِي المهدِ
ومَنْ ذَا يَرى فِي العَالمِين قَرِيننا ويَزْعم أنَّه يَفُوقنا بالنقدِ

إلى أنْ يقول[1]:

بَنُو هَاشمِ خَيْر القبائِل منهمُ أَمَامَ الهَدى جد الحسينينَ المهدِ
حَذارِي حَذارِي أنّنا رحمة الورَى وَغصة للقَالِين فِي الحشرِ واللحدِ
تَأبيت عَنّا إذْ عَلوت بقربِنا جَزاءُ سِنمار جَازيت مَع الطردِ
كأَّنك لمْ تَتَلق الموَدة فِي القُربى وَادي وِداد فِي الصغَار لَذِي رشد
أَهنْت دَم الأشْراف حَيْث وجدته بِخير شعيعًا غبر جدنا فِي الأبدِ

افتخر المؤلف في هذه القصيدة بنفسه وبأصله، وأنّه عربي الأصل، وفي الوقت نفسه هجى وذم ابن علي، وهذا ما سنراه لاحقا فالمؤلف هنا كان يتغنى، ويفتخر بأجداده الذين هم من بنو هاشم وأنهم خير القبائل العربية كلها.

3- الهجاء:

الهجاء غرض من الأغراض الشعرية المعروفة، يُعبر به الشاعر عن سخطه واشمئزازه من شخص معين، كما يُمكن تسميته بفن السّب والشتم، إزدهر هذا الفن أكثر على لسان الشاعرين الفرزدق والجرير، كما وظف رحالتنا ابن حمادوش هذا الغرض في رحلته ،فما الهجاء لغويا واصطلاحيا؟

أ -لغة:

تدور مادة (هجو) في المعاجم العربية حول عدّة معاني نجملها فيما يأتي:

1- المصدر السابق، ص257.

قال ابن سيده: وهذه الكلمة يائية وواوية، قال: وهذا على هِجاء هذا أي على شكله وقدره ومثاله وهو منه.

وهَجُوَ يومُنا: اشتَد حَرُّه.

والهَجاةُ: الضفدع ، والمعروف الهاجةُ.

وهَجيَ البيتُ هَجْيًا: انْكَشَفَ، وهَجِيتْ عينُ البَعير: غارَتْ.

ابن الأعرابي: الهِجى الشبع من الطَعَّام[1].

من هذه المعاجم يتضح أنّ الهجاء كل ما هو قبيح وغير مستحب.

ب -اصطلاحا:

تختلف تعاريف الهجاء من باحث لآخر، ومن ناقد إلى آخر فالهجاء في نظر البعض "يصور عاطفة الغضب والإحتقار والإستهزاء، وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب" [2]، والهجاء كذلك "فن الشتم والسباب وهو نقيض المدح"[3]، كما أنّه: "نزع الصفات الحميدة"[4]، وهناك من يرى أن "الهجاء وجه ثان للفخر"[5].

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (هجو) ج15، ص303.

2- الهجاء في الأدب الأندلسي، فوزي عيسى، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2007، ص12.

3- الهجاء والهجاءون في الجاهلية، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص02.

4- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981، ص83.

5- الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، الأدبية وتحليل النص، عبد الإله الصائغ، دار الفكر المعاصر، اليمن، صنعاء، ط1، 1999، ص15.

الهجاء يتصف بصفات القبح والغضب ونزع كلّ الصفات الحميدة والإتصال بكل ما هو مذموم.

كان الهجاء ولا يزال يعبر به الشاعر عن غرضه عندما يستهزأ به أحد ما أو يحتقره، وكان شائعا بين الأعداء أكثر، وهذا ما نجده في قصيدة لابن حمادوش هجا فيها ابن علي قال فيها[1]: (البحر الطويل).

فإنّي من اللاَئينَ فَوق الثَرى تَرى وأنْفسنا فِي العرشِ تَابعة المجدِ
بَناجَدنا فِي العالياتِ قُصُورنَا فَلا نْرتَضي الأدْنى كبارًا وفِي المهدِ

.....

بَنُو هَاشِمِ خَير القَبائِل منهُم أَمام َالهُدى جد الحَسينين المهدِ
حَذارِي حَذارِي أنّنا رَحمة الورَى وغصّة للقالِين فِي الحشرِ واللحدِ

الملاحظ لهذه القصيدة يرى أنّها قصيدة غامضة، وهذا نظرا للألفاظ الصعبة التي استعملها الشاعر، ممّا صعب على القارئ فهمها وفي هذه القصيدة "هجا ابن حمادوش ابن علي وافتخر بنفسه العلوي الهاشمي، وأقام هجاءه لابن علي على كونه غير عربي وكونه يحب الدنيا وأنه متكبر متصلف"[2].

4- الرثاء:

الرثاء هو تعداد صفات الميت الحميدة من شجاعة وكرم وعفة وجود وأخلاق مهذبة، وهو كذلك غرض شعري برعت فيه الخنساء برثائها لأخيها صخر، وقبل معرفة كيف تناوله عبد الرزاق ابن حمادوش وجب علينا أن نتطرق إلى معنى الرثاء.

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص256،257.

2- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج2، ص275.

أ -لغة:

رثا (رثى) "رَثَى فُلانٌ فُلانا يَرثيه رثْياً ومرثِيةً، أي يَبكيه ويَمدَحُه"[1].

"ورَثى فلان فلاناً يَرْثيهِ رَثيا ومَرثِية إذا بكاه بعد مَوته، ورَثَيْت الميّت رَثياً ورِثاءً ومَرْثاةً ومَرْثِية ورَثيته: مَدَحْته بعد الموت وبَكيتْه، ورثوْت الميّت أيضاً إذا بكَيته وعدّدت محاسنه"[2].

اتفقت المعاجم أنّ الرثاء هو البكاء على الميت مع تعداد محاسنه ومناقبه.

ب - اصطلاحا:

عرّفه الدكتور جبار "عباس اللامي" فقال [3]: "الرثاء تعبير عن مشاعر الأسى والحزن فضلا عن ذكر محاسنها والإشادة بمآثره وخصاله الحميدة".

"والرثاء في الحقيقة مديح الميت ... ويتصل بالرثاء النواح"[4].

و"إبراهيم فتحي" يقول[5]: "الرثاء هو عويل ونواح وتفجع على عزيز راحل".

فالرثاء إذا هو ذكر محاسن وفضائل الفقيد والصفات الحميدة التي كان يتمتع بها.

1- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج02، ص97.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة(رثا) ج14، ص309.

3- الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، عبد الإله الصائغ، ص58.

4- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج1، ص83.

5- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، الجمهورية التونسية، (د.ط)، 1986، ص318.

ذكر ابن حمادوش في رحلته مرثية واحدة وكانت في ابن المبارك قال فيها: [1] (البحر الطويل).

أفَلتِ يَا شَمس الغربِ فِي حجبِ الثَرى وأبْقَيت فَأسًا فِي الظلامِ وفِي الغمِ
فَحيرت رِصادًا وعطلتِ آلةً وَفرحت شَيْطاناً قهْرته بالرجمِ
أيّا شَيْخنَا شَيخُ الجماعة أَحمد أنجل مُبارِك وَصلت ذُو الرحمِ
بَذلت عُلومًا كنتَ فيهَا مُبرزا فلَست بمناعِ العفاتِ من الفهمِ
إذَا أنْت عبرتَ المسائل نالهَا غَبي، وإنّ صورت أَدركِها الآمي
فقُمت بحق العلم فِيْ كُلّ مَوطنِ وأقْرب مَا يَأتِي العوْيصة فِي الهَمِ
لَقَدْ كُنْتَ مَعنيًا بشأنِه فِي الورَى وفِكرك غَواص عنّ الدّر فِي اليَمِ
فَتشرحُ مُشكلِاً وتَكْشِفُ غامضًا وتَنْشر مَا الجُمهور شَهر فِي القَوْمِ
فأَنْتَ فَي دَهرِنَا (أَيْأَسُ) فِي قَوْمِه وأَنْتَ فِي عَصْرنَا إمَام على الرَغْمِ

إلى أنّ يقول[2]:

وعَامه شَنقُوا (بَاشة الريفي) أرْخُوا وَأنّْ شِئْتَ نُوقِشَ الحسَابُ مَعَ الغرمِ
وجُمَادى أَوّلاً فِي ثَالثِ عشرةٍ وَرَابِع عشرة الأخِيْر ذُو الوَصمِ

اتبع المؤلف في هذه المرثية طريقة القدامى، وهذا واضح من خلال طول نفسه، كما تغنى الشاعر كذلك بمحاسن المرثِي وفضائله الحميدة ومآثره من خلال قوله: (**فتشرح مشكلا وتكشف غامضا..... عليك يحق النوح والحزن والبكا.....**)

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص87،88.

2- المصدر نفسه، ص88.

إلا أنّ الملاحظ لهذه المرثية يراها ضعيفة المستوى، وهذا ما صرح واعترف به ابن حمادوش نفسه عندما قال (قد رثيته بقصيدة قدر بضاعتي*)

5- الحنين إلى الأهل والوطن:

شغل الحنين بال العديد من الأدباء والرّحالة، فقد كان الرّحالة يطوق بشدة إلى أهله ووطنه، فالحنين هو تذكر الماضي بكل حب ورغبة من أماكن وأناس بكل التفاصيل صغيرة كانت أم كبيرة، والحنين باب واسع مرّ عليه جميع الرّحالة من بينهم عبد الرزاق بن حمادوش، وقبل الولوج في هذا سنلقي الضوء على المعنى المعجمي والاصطلاحي للحنين.

أ -لغة:

الحنين: "الشَوْقُ وشِدّة البكاءِ والطَرَبُ أو صَوْتُ الطَرَبِ عَنْ حُزنٍ أو فَرَحٍ"[1].

وجاء في لسان العرب: "الحَنّانُ: من أسماء الله عزوجل"[2].

والحَنِينُ: "الشَّوْقُ وتَوقانُ النفس، وحَنَّت الإبلُ: نَزَعَت إلى أوطَانها أو أولادها، وتَحَنَّنَت النَّاقةُ على ولدها: تَعَطَّفَت"[3].

وجاء في التنزيل الكريم قوله عزوجل: ﴿**يَا يَحْيَ خُذِ الكِتَابَ بِقُوّةٍ وأَتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا، وحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وكَانَ تَقِيًّا**﴾ [4].

---

*: قدر بضاعتي: هذا اعتراف من المؤلف بأن شعره غير جيد.

1- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ج4، ص213.

2- لسان العرب، ابن منظور، (مادة حنن) ،ج13، ص128.

3- المرجع نفسه، ص129.

4- سورة مريم، الآيات [12،13].

من ذلك يتضح أنّ الحنين يدل على عدّة معاني منها: الشوق، والبكاء، والطرب، والصوت، وتوقان النفس، ...

ب – اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية فالحنين يدل على: "الشوق وتوقان النفس مع الطرب والتنغيم، وهو يكشف عن مدى معاناة الإنسان في ديار الغربة بعيدا عن وطنه، فالحنين يرضي شغف النفس، ويشبع حب الناس للأوطان"[1].

فقالت العجم: "من علامة الرشد أنّ تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة"[2]، وقالت الهند: "حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك"[3].

أما الحنين إلى الأهل والوطن في الرحلة هو: "شكل من أشكال المعاناة، التي ما فتئ الرّحالة يكتوون بنارها، ويعبرون عن صداها المؤلم، في صور وأشكال شتى"[4].

إذا الحنين هو اشتياق النفس إلى أهلها وديارها، علما أنّ هذا النوع الأخير من التعريف الاصطلاحي هو الذي سنتطرق إليه.

نوّع ابن حمادوش في رحلته المعنوية بـــ (لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال) بين أغراض مختلفة من: فخر، وهجاء، ورثاء، ومدح –كما ذكرنا

1– الحنين والغربة في الشعر الأندلسي عصر سيادة غرناطة:(635–879ه)، مها روحي إبراهيم الخليلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية ،جامعة النجاح الوطنية،فلسطين،2007،ص18.

2– الحنين إلى الأوطان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص08.

3– المرجع نفسه، ص08.

4– أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، عبد الله بن أحمد بن حامد آل حمادي، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العربية العليا، المملكة العربية السعودية، 1997، ص03.

سابقا- ولكنه لم يستغن عن حنينه إلى أهله ووطنه، فذكر رحالتنا خلال رحلته قصيدتين عبر فيهما عن اشتياقه وألمه الشديد وهو بعيد عن أحبابه وديارِه، فراح يتغنى بهما، فبدأ قصيدته الأولى بأبيات شعرية كسرت قلبه، وكسرت قلب المتلقي قال فيها [1]:(البحر الطويل).

لَقَد كُنْت قَبل اليَوم أَصبر صابرًا وهَا أَنَّا فِي هَذَا الأوَانِ ذَلِيل
أَنُوحُ عَلى بُعْدِ الدِيَار َصبَابَةٍ نَواحي الثُكَالَى تَحْسَبوُنِي جَميلٌ
بُثَيْنَة عِندي وإنّي جَارَها وفَارَقْتُها، كُرها، فَإني عَلِيْلٌ
وَقَد ْأدْرَكَ العِيْدُ الخَيْل ديَارَه عَلى شَطَطِ فمّا إليْه سَبِيلٌ
فَلوْ كَانَ طَيْر يَطِير َبِبغيَتِي إلَى دَار زَهرا بَالكتابِ يَدِيلُ

.....

أيّا مَركَبا فَرقتَ بَيْنِي وبَيْنَهَا يَغِيضُ عَليْكَ المَاء حَيْثُ تَقِيل
يُهال عَليْكَ البحرُ إنْ كنتَ مَاخرا وتَعدمك الأهلونَ حَيْثُ تَمِيْلُ

.....

شَربتُ كُؤْوسَ الذُلُ بَعْد بعادكُم ومَا أنَا بالراحِ الكَمِيت ثَميلُ
لَبستُ ثِيَاب الحُزْنِ بَعْدَ فُراقِكُم فَهَا أَنَا فِي سِجْنِ البِعادِ مُقيلُ
سَألتُ الخَطَاطِيفَ الوفُود لسجْنِنا أنَالت من الربعِ المشبدِ نَيلُ

إلى أنّ يقول في آخر القصيدة:

أراشِه من رِيْشِ الكلاَ والقَوْادِم وريشَ الخوافِي والسوابِق قِيلُ

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص108،109.

فَألقَاهَا صَرعى فِي الرغَامِ كَأنّهَا عَلى ضُعْفِها، فرخُ الحمامِ جَدِيْل

الملاحظ لهذه القصيدة، يجد ابن حمادوش صبّ عواطفه وأحاسيسه فيها، فالرّحالة أراد أنّ يعود للبيت ويقضي أيام العيد مع زوجه وأولاده، إلا أنّ الزمن غدره، وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فناح مثلما تنوح الثكلى، أي مثل المرأة التي فقدت ولدها أو حبيبها، فشبه نفسه بـــ (جميل) وزوجته بـــ (بثينة)، فجميل كان يشتاق لبثينة على الرغم من أنّها جارته ودائما يراها.

كما خاطب الرّحالة المركب (السفينة) بأنّه هو الذي فرق بينه وبين زوجته (أيّا مركب فرقت بيني وبينها)، لأنّه تحطم وهو قريب من الجزائر، فعندما تحطم المركب كان ابن حمادوش في تطوان، فمرة نجده يلوم نفسه، فهذا البعد هو المسؤول عليه ومرة أخرى نراه يخاطب طائر الخطاف ويحمّله رسالة إلى زوجته ليخبرها فيها عن مدى اشتياقه لها ولأولاده، وأنّه يرغب أن يكون هناك أيام العيد.

وفي القصيدة أيضا دفقة شعورية رهيبة للرّحالة، فالملفت للانتباه أنّها تحفل بالصور البيانية البديعية، ممّا زادها رونقا وجمالا، وسلاسة الأسلوب، وألفاظها سهلة وبسيطة، وأمّا المعاني فهي قوية، كما نلحظ صدق عاطفة الرّحالة من خلال الألفاظ المنتقاة.

وللرّحالة قصيدة أخرى تحمل نفس الموضوع، وصف فيها أحزانه وآلامه وحنينه واشتياقه إلى أهله ووطنه، إلا أننا سنصرف النظر عنها.

6- الألغاز:

وآخر شيء تطرقنا إليه في الفصل الثاني هو الألغاز وكيف كان تعامل رحالتنا مع هذا النوع، وقبل الولوج فيه وجب علينا معرفة مفهوم اللغز لغة واصطلاحا.

أ -لغة:

عرفه ابن منظور بقوله:

"أَلْغَزَ الكلامَ وأَلغزَ فيه: عَمَى مُرادَه وأَضْمَرَه على خلاف ما أَظهره

واللُّغْزُ: الكلام المُلَبَّس، وقد أَلْغَزَ فِي كلامه يُلغِزُ إلغازًا إذا وَرَّى فيه وعَرَّضَ ليَخْفَى الجمع ألغازُ مثل رُطب وأرطاب"[1].

ويقال: "لغز الشيء، أي مال به عن وجهه، ولَغَزَ في يمينه، أي دَلس فيها على المحلوف له"[2].

ويقال أيضا: "أَلْغَزَ اليَرْبوعُ حِجْره، أي حفره ملتويا، مشكلا على داخله وألغز في الكلامِ وألغَزَ الكلامِ، أي عمى مراده به ولم يبينه"[3].

من خلال هذه المفاهيم اللغوية، يتضح أن اللغز هو الكلام المضمر، وغير المفهوم.

ب - اصطلاحا:

اللغز: "سؤال غامض يتطلب الإجابة عنه، إنّما هو شبيه بحالة الغموض التي يعيشها الإنسان.... كمّا أنّ الاهتداء إلى حلّ اللغز لا يعني الوصول إلى الحقيقة، وإنّما يعني الوصول إلى المعرفة"[4].

اللغز هو كل سؤال غير واضح ومبهم وجب الإجابة عنه، إلا أنّ الإجابة عن هذا السؤال لا يجب أنّ تكون بدافع الوصول إلى الحقيقة المطلقة.

1- لسان العرب، ابن منظور،(مادة لغز)، ج5، ص405،406.

2- أنواع النثر الشعبي، رابح العوبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، (د.ط)، (د.ت)، ص85.

3- المرجع نفسه، ص85.

4- أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نبيلة إبراهيم، دار النهضة، مصر، (د.ت)، ص166.

وهناك من أطلق على اللغز قصة الأسرار: "السر هو أي شيء يظل مجهولا أو مكتوما أو دون تفسير، وقصة الأسرار هي شكل من السرد القصص تكون فيه وسائل الجريمة وتفصيلاتها ودوافعها تستغرق الانتباه وتثير الدهشة"[1].

عرف اللغز من خلال هذا التعريف منحى آخر يخالف التعريف الأول وهو السر والسر هو كل ما لم يّصرح به بل يبقى طي الكتمان.

وللغز غاية وغايته تتمثل في[2]:

-التربية العلمية المباشرة...

-التسلية البريئة.....

-مداعبة الجدة لأحفادها، والأم لأطفالها قبل النوم بغية إثارة مشاعرهم نحوها...

وسنرى غاية ابن حمادوش من توظيف الألغاز في رحلته.

كتب أحمد البوني لغزا في شكل أبيات شعرية جاء فيها[3]:(البحر الطويل).

ألاَ أيُّهَا الغَادي عَلى ظهرِ أجودَا يَشُقُ الفَيَافِي فَدَ فَدًا بعد فَدِ فَدِ.

يحمّل، رَعَاك الله، مِني تحيةً تُحيي بِها أَهْل المجالس فِي غدِ

وقُل لَهُم مَا سَبعة خُلقُوا مَعًا ومَا سبعةِ فِي ثوبِ خزِ موردِ

حواجِبهُم سَبْعُون فِي وجه واحدِ وأَغْينهم تِسْعُون فِي خَلق هدهدِ

أَبُوهم لَه حَرْفَانِ من اسمِ جعفرٍ وحَرفانِ مِن اسمِي عَلي وأَحمدِ

1- معجم المصطلحات الأدبية، فتحي إبراهيم، ص297.

2- أنواع النثر الشعبي، رابح العوبي، ص87.

3- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص130.

فتح الشيخ البوني بهذا اللغز المجال أمام العديد من الشيوخ قاموا بإعطاء حلولا له كلّ على طريقته، فحتى المؤلف نفسه راح يبحث عن حلّ لهذا اللغز مع غيره.

كانت غاية المؤلف من توظيف اللغز في رحلته إعمال العقل، والتسلية وخلق جو المنافسة والمناظرة الذي كان سائد في زمنه.

الملاحظ لجميع هذه القصائد التي تطرقنا إليها في رحلة ابن حمادوش أنّه ابتع طريقة القدامى في نظم الشعر، مثل نظام السطرين، وطول النفس والألفاظ المسجوعة، والأسلوب المتميزة بالبساطة والرشاقة، كمّا أنّه نوع بين مختلف الأغراض الشعرية.

الفصل الثالث:

بنية النص السردي الرّحلي

توطئة.

1- السرد (الحكي)

2- الوصف

3- الحوار

توطئة:

يُعدُّ النص الرّحلي من بين النصوص السردية التي أرهقت كاهل الأدباء والباحثين، فهناك العديد من الأدباء الذين بحثوا في هذا الموضوع، حتى توصلوا إلى أنّ النص الرّحلي يحمل في طياته ثلاث عناصر أساسية، تُعدُّ من أهم عناصر مكونات الخطاب السردي، تمثلت هذه العناصر في: السرد، والوصف، والحوار.

فالسرد في الرّحلة يسير وفق تسلسل زمني للأحداث، فلا توجد رحلة تخلو من هذا العنصر، فأي رّحالة يبرز جانب من ذاتيته في رحلته حتى يخلّد أحداثه عبر التاريخ، أمّا الوصف فهو صفة لصيقة بالسرد، فأينما يوجد السرد يوجد الوصف، فهذا الأخير يتعلق بالمكان عكس الأول المرتبط بالزمان، فالرّحالة له حس تصوري فائق، فهو عندما يرحل من مكان لآخر حتما سيصطدم بمناظر وغرائب، كما أنّه يشاهد عادات وتقاليد كلّ هذا يحتم عليه أن يضع بصمته التصويرية في الرّحلة، أما العنصر الثالث والأخير الذي لا يمكن أن يستغني عنه النص الرّحلي فهو الحوار، فلا يمكن للرّحالة أنّ يعيش بمعزل عن الآخرين، وأكيد يتعرض لعدة مناقشات ومقابلات ومناظرات مع العديد من الأشخاص.

1- السرد (الحكي):

عرّفنا ممّا سبق أن الرّحلة يقوم بها شخص يسمى الرّحالة، حيث يقوم هذا الرّحالة بحكي كلّ ما تعرض إليه وتعرف عليه في أثناء رحلته، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المترحل إليهم، وهذا ما يُعّرف بالسرد في الرّحلة.

السرد يبدأ مع الرّحلة ويستمر إلى نهايتها وهي: "الطريقة التي يُعبر بها الإنسان عن نفسه وعن أفكاره في المجتمع"[1].

المقصود بالسرد في هذا القول هو الكيفية التي يُعبر بها الشخص عن أحواله وعن آرائه مبرزا في ذلك ذاتيته، فأينما يحضر السرد تحضر بالضرورة الذاتية.

والسرد حاضر منذ القديم في العديد من النصوص، فهناك نصوص لا تخلو من السرد فهو "حاضر في الأسطورة، وفي الحكاية الخرافية، وفي الحكاية على لسان الحيوانات، وفي الخرافة، وفي الأقصوصة، والملحمة، والتاريخ، والمأساة، والملهاة، والبانطوميم، واللوحة المرسومة، وفي النقش على الزجاج، وفي السينما..." [2].

إذا السرد قديم قدم الإنسان على وجه الأرض؛ فقد وجد على شكلين: الأوّل يتمثل في النصوص المكتوبة أو الشفوية والثاني يتمثل في النصوص على هيئة صورة سواء كانت ثابتة أو متحركة، مثل اللوحة المرسومة والسينما، فالسرد موجود في كل مكان وزمان حتى في حياتنا اليومية.

1- المحاورات السردية، عبد الله إبراهيم، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2011، ص203.

2- طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت، تر: بحراوي ، لقمري ،عقار، منشورات اتحاد كتاب المغرب ،ط1،1992، ص9

على خلاف النصوص – المذكورة سابقا– نجد أيضا النّص الرّحلي لا يخلو من جانب السرد، فبعد الرحيم مؤذن يؤكد على أنّ "الرّحلة سرد، وإنها حكاية انتقال سارد من مكان إلى مكان آخر"[1].

من هذا المنطلق نجد الرّحالة الجزائري عبد الرزاق ابن حمادوش برع في هذه التقنية– السرد– في رحلته انطلاقا من العنوان وصولا إلى النهاية، فعنوان الرّحلة عبارة عن جملة سردية، فالعنوان يحمل أهمية كبيرة، وهو الذي يحيل المتلقي إلى ما تحمله الرّحلة في طياتها "باعتباره العتبة الأولى التي تحاور المتلقي وتشير إلى جنس المؤلف"[2].

فابن حمادوش عنون رحلته بـــ "لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال" فطول العنوان يستوجب بالضرورة ألفاظا مسجوعة من أجل الإغراء والوضوح، وهذه حالة العناوين القديمة والتقليدية، فمن هنا يتضح أن السارد أراد أن يُعرّف عن أصله وفصله وأحواله (أخباره) قبل وبعد الرّحلة، هذا فيما يخص السبب الأول الذي يدل على أنّ الرّحلة طغى عليها السرد بصورة كبيرة، أما السبب الثاني للسرد فتمثل في بداية الرّحلة التي جاءت بضمير المتكلم "وأول درجة في الساعة الرابعة من افتتاح سنة 48 ثمانية وأربعين عجمية من ولادتي ...." [3].

فالسارد هنا يظهر مباشرة دون تخفي أو غموض وهو المؤلف نفسه ابن حمادوش أي أن السارد هو الرّحالة نفسه.

1– أدبية الرحلة، عبد الرحيم مؤذن، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص28.

2– الرحلة في الأدب العربي، التجنس.. آليات الكتابة...خطاب المتخيل، شعيب حليفي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص171.

3– لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص 29– 30.

"النص السردي يستلهم عتباته من خلال تقاطعه مع شكلين في آن واحد التقاطع الأول مع النص السردي (السير، المقامات، الحكاية الشعبية...) ذلك حين اختيار العنوان وبداية الحكي، أما التقاطع الثاني مع كتب التاريخ والجغرافيا في تأطير النص فيحدث حين يتم تقديم الدوافع والأسباب...." [1].

الملاحظ لهذا القول يرى أن الرّحلة التي نحن بصدد دراستها تحتوي على هذه النصوص السردية.

بدأ الرّحالة في سرد الأحداث التي تعرض لها إنطلاقا من لحظة عبوره من جبل طارق، هذا الجبل عبارة عن مضيق عبر منه الرّحالة عند الذهاب إلى المغرب، من هنا بدأ السرد في الرّحلة "وفي هذه الساعة كنا على ظهر البحر، قريبا من غرناطة، وكان عاشر خروجنا من الجزائر، والاثنين حادي عشرتا، ويوم الأربعاء سادس عشر فبراير ألقينا المراسي بجبل طارق...فخرجنا إلى الموضع الذي أمرنا وبقينا هناك بقية يومنا والخميس"[2].

بما أن السرد هو الطريقة التي يُقدم من خلالها محتوى العمل الأدبي عن طريق المكونات السردية (السارد: الراوي، الحاكي، المؤلف/ الرسالة: السرد/ المتلقي: المسرود له) فقد كانت له غاية كبيرة، حيث كانت غايته من السرد تتجاوز عرض الموضوع، بل أراد أن يدمج المتلقي في رحلته دون وعي منه، وذكرنا سابقا بأن السرد هو نقل للأحداث التي تعرض لها الرّحالة، وهذا ما نجده عند ابن حمادوش عند دخوله تطوان، حيث سرد رحالتنا لحظة دخوله إلى تطوان بالتفصيل "وصبيحة السبت، بعد شروق الشمس، خرجنا من جبل طارق، ألقينا مراسينا، وألقى بعض أصحابنا كانوا نزلوا في الفلوكة قبل ذلك،

1- الرحلات في الأدب العربي، التجنس.. آليات الكتابة... خطاب المتخيل، شعيب حليفي، ص168.
2- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص30.

ألقوا أرجلهم في البر لمضي ثلاث أدراج من غروب شمس ليلة الأحد.... فلقيت من علمائها الشيخ أحمد الورززي فسلمت عليه"[1].

أخبر السارد المتلقي لحظة خروجه من جبل طارق، ولقائه بالشيخ أحمد الورززي.

في أثناء مكوث الرّحالة في مدينة تطوان التقى بمجموعة من العلماء، وأخذ منهم الفقه كما أجازوه، فلم يغفل هذه النقطة الهامة في رحلته فأراد أن يُوردها للمتلقي فبدأ بسرد أسماء العلماء الذي إلتقاهم كما أورد الدروس الذي حضرها عليهم حيث يقول لما حضر دروس البناني "فدخلت تطوان وصليت الظهر بها مع الجماعة ثم ذهبت إلى بيتي، وكنت أنظم قصيدة لأدفعها للشيخ أمحمد البناني ،ففي يوم السبت دفعتها له حيث افترقنا من قراءة البخاري، وكان أول يوم حضرت درسه من بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، ....، وفي يوم الأحد الموالي لهذا السبت ابتدأ ختمة في صغري سيدي أمحمد السنوسي فكان يحقق العقائد للناس جزاه الله خيرا"[2].

ظهر السارد مباشرة دون تخفي أو غموض، وهو الرّحالة ومسار السرد تحول إلى ضمير المتكلم بعد أن جاء في بداية الرحلة بضمير الغائب، ومن هنا بدأت تبرز ذاتية الرّحالة أكثر في الرّحلة.

كان اختلاف النصوص السردية واضح في الرّحلة حيث تنوعت بين إجازات وعقود الزواج، ومقامات، وغيرها، فالرّحالة أجازه العديد من المشايخ منهم الشيخ الورززي "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، يقول الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي دارا ومنشأ الديلمي الحميري نسبا، لطف الله به....

1- المصدر السابق، ص31.

2- المصدر نفسه، ص33-35.

فأجزته أن يروي عني الكتب الستة..... ، ثم يوم الجمعة الموالية له رفعت إجازتي للشيخ البناني فرآها وسردها ووعدني أن يأتيني بكراسة...." [1].

مثلت هذه الإجازة مقطع سردي مهم في الرّحلة، فالسارد هنا تغير عن النصوص السردية التي جاءت في البداية، السارد هو أحمد بن محمد بن عبد الله الورززي، والسرد تمثل في الرسالة أي نص الإجازة والمسرود له كان الرحالة عبد الرزاق ابن حمادوش.

إن جميع الإجازات التي جاءت في الرّحلة بناها المؤلف على الطريقة نفسها واحتوت على هذه العناصر الثلاث، فالسرد كان متمثل في نص الإجازة والمسرود له كان دوما ابن حمادوش، أما السارد فقد تغير من إجازة إلى أخرى، فمرة نجده البناني، وأخرى كان السرائري وهكذا دواليك.

مع هذا الفضل الكبير الذي قدمه شيوخه له أراد الرّحالة أن يخصص جزءً من رحلته لشيوخه الذي أخذ عنهم "ولنسرد بعض المشائخ تبركا بهم وتعلقا بأذيالهم وسببهم وتأكيدا للانتساب إليهم بالنسج على منوالهم.... وهم الوصلة بينهم وبين رب الأرباب"[2].

كان السرد المشايخ طويلا جدّا بحجم عظمتهم، كما إستعمل ألفاظ مسجوعة وراقية تليق بمكانتهم ،كما كانت الرّحالة من هذا السرد هو تعرّف المتلقي على شيوخ عصره (العهد العثماني)، المكانة الكبيرة التي كانوا يحتلونها آنذاك، ومن بينهم محمد الفاسي وأحمد بن العربي بن الحاج، ومحمد بن أحمد القسنطيني، والعربي بن أحمد بردلة، والحسن بن مسعود اليوسي، أبو مدين بن الحسن المكناسي، وعبد السلام القادري، وسعيد الحميري، ومحمد بن أحمد المسناوي الدلائي، وعبد المالك التجمعوتي.... هذا عن شيوخ البناني الذي أخذ عنهم، ثم واصل الرّحالة سرده لعلماء المغرب الذين أجازوا البناني،

1- المصدر السابق، ص37-39.

2- المصدر نفسه، ص40.

وعلماء المشرق الذين أجازوه، أيضا، متبعا الأسلوب نفسه من ألفاظ وعبارات تليق بالعلماء وكبار الأمة.

لما وصل الرّحالة إلى مكناس التقى هناك ثلة من العلماء الذي أخذ عنهم "فدخلت مكناسة عند الزوال من يوم الأحد سادس وعشرين صفر من عام 1156 الموافق عاشر أبريل من سنة 1743 مسيحية*، وفي يوم الإثنين التقيت بسيدي عبد السلام القباب بلغني أنه من خيارهم،..... فأتاني به من الغد، وهو يوم الثلاثاء بعد صلاة الظهر،....، فافتتحت فيه في ذلك اليوم"[1].

اتبع السارد نظام زمني متطور، حيث قدمّ للمتلقي بالتفصيل كلّ ما تعرض له في أثناء دخوله مكناس، فقد صرح بدخوله مكناس يوم الأحد، وفي اليوم التالي مباشرة (الإثنين) بدأ يلتقي بالعلماء، ومن هنا يتضح أن الغرض من وراء هذه الرحلة، هو غرض علمي بالدرجة الأولى.

استغل الرّحالة رصد الأحداث وتطور الزمن بواسطة السرد الذي يُعدُّ عنصرا مهما وأساسيا في الرّحلة، ولا يمكن الاستغناء عنه وفصله عن مكونات الخطاب السردي، فالسرد بدى بوضوح في هذه الرّحلة من خلال المقامات التي تقدمت، وبخاصة المقامة الهركلية، فقد كان السارد يحكي ما حصل له في الخان الذي مكث به، والفوضى التي اعترت هذا الفندق، وكان السارد هنا هو الرّحالة نفسه، كما أنّه صرح بأنّ هذه الأحداث حصلت له في مكناس، فتوجه إلى فاس "وصباح الخميس خرجنا ضحى من مكناسة في قافلة عظيمة .... فسرنا السير الحثيث حتى دخلنا فاس....، فأصبحنا يوم الجمعة بها تاسع

*: مسيحية: بذلك يكونون قد قطعوا المسافة بين تطوان ومكناس في ثمانية أيام، لأنهم حرجوا من تطوان 18 صفر.

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص 77، 78.

ربيع الأول منت عام 1156 هـ الموافق لثاني وعشرين أبريل من سنة 1743 مسيحية*"[1].

لم ينس الرّحالة أي تفصيل دقيق فكل الطريق الذي سلكه وهو قاصد تطوان قد سرده في رحلته إنطلاقا من لحظة دخوله تطوان، ثم مكناس، وصولا إلى فاس، وها هو ابن حمادوش يعود إلى تطوان مرة أخرى "وسرينا من هناك فدخلنا تطوان قريب من صلاة العصر أو بعده، يوم الأربعاء، بل مع غروب الشمس....، فأصبحنا في تطوان يوم الخميس خامس وعشرون للشهر المذكور الموافق أول يوم من دجنبر"[2].

بهذا يكون الرّحالة قد سرد جميع الأحداث التي تعرض لها في أثناء إقامته في المغرب.

يّعدُّ السرد من أبرز التقنيات التي وظفها ابن حمادوش في رحلته فقد كان حضوره بارزا وذاتيته تظهر من مرة لأخرى، كما أنّه ذكر كل ما مر به من مصاعب ومتاعب خلال جولاته، حتى في أثناء اشتغاله بنسخ الكتب ،قدمها للمتلقي متبعا التسلسل الزمني للأحداث "وفي يوم الخميس، بل السبت، التاسع عشر من ذي القعدة، ختمت الدر الفائق المذكور أولا....، وفي يوم الثلاثاء ختمت روضة الأزهار بشرحها....، وفي يوم الخميس أول يوم من ذي الحجة رجعت إلى الفندق وسكنت البيت"[3].

أورد ابن حمادوش كل كبيرة وصغيرة في الرحلة، حتى يغوص المتلقي فيها، دون تعب ومشقة، فقد سرد أحداثا كان عليه الاستغناء عنها مثل تهربه من دفع المكس في

*: مسيحية: بذلك يكون قد أقام في مكناس حوالي أحد عشر يوما.

1- المصدر السابق، ص80.

2- المصدر نفسه، ص99.

3- المصدر نفسه، ص106.

مرسى تطوان، والتهرب من المكس في الجزائر، أيضا، وحتى عندما نقل إبنه من مدرسة لآخر....

وعند عودة الرّحالة إلى أرض الوطن (الجزائر) أراد أن يسرد على أبناء وطنه كل ما تعلم من فقه، وفلك، وطب، ...، حتى يثبت لهم أن رحلته لم تذهب هباءا، على الرغم من أنها رحلة بغرض التجارة، وبدأ يسرد البخاري، وهذا ما أكده الدكتور "أبو القاسم سعد الله" في كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي"، فقد جاء في طريقة سرد البخاري في الجزائر ما يأتي:

"وفي يوم السبت ثاني عشرة، موافق ثامن شتنبر حضرت سرده صباحا، فقرأ مماليه سيدي محمد ابن سيدي الهادي فضائل الصحابة.... من اتفاق العلم"[1].

- الملاحظ لهذا النّص السردي يرى أنّه يحتوي على موضوع واحد، وهو طريقة سرد البخاري في الجزائر.
- وجود سلسلة من الأحداث المرتبة زمنيا، ولا يمكن عزلها عن بعضها البعض ذلك أن "السرد فعل زماني، فهو يتحقق في الزمان لأنه يتحرك في مجراه وبوساطته لأنه يتقدم متصلا به"[2].
- وجود أكثر من شخصية في هذا النص، ومن ثمة حدوث عدّة تغيرّات على مستوى النص.
- الطريقة نفسها واصل الرّحالة بها سرد البخاري، حتى ختم الصحيح، وبعدها بدأ بالتفصيل فيه.

1- المصدر السابق، ص122-124.

2- السرد العربي، مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين ، رؤية للنشر والتوزيع، المغرب، ط 1، 2006، ص195.

لم يدع ابن حمادوش حزنه على ابنه يمر، ولم يبقه في قلبه، بل أراد أن يشارك فيه المتلقي فأورد ذلك في متن الرّحلة "وفي يوم الجمعة آخر يوم من نونبر موافق سابع ذي القعدة في الساعة الحادية عشر من الليلة المذكورة....، مات ابني الحسين،....، ونسأل الله تعظيم أجري فيه"[1].

بهذا يكون الرّحالة سرد كل يومياته بتفاصيلها الحزينة والجميلة، كما كان إهتمام الرّحالة واضح بكتابة عقود الزواج في رحلته، لأنّها تُعدُّ من أهم الطقوس المستحبة في الإسلام، ممّا جعل ابن حمادوش يغوص في هذا الموضوع بكلّ تفاصيله، ليأخذ المتلقي نظرة عن هذه العادات وأهميتها في المجتمع، فأورد ذلك في شكل نصوص سردية، ممّا جعل هذا النّص الرّحلي الذي بين أيدينا من أكبر النصوص السردية التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني، كما بين للمتلقي الشروط التي كانت تتضمنها هذه العقود، وأهمها الصداق "الصداق هو ما يّعطى للزوجة في مقابل الاستمتاع بها ويسمى مهرا" [2]، والميزة الأخرى التي انفردت بها كتابة عقود الزواج هي الطول نوعا ما، أورد ذلك ابن حمادوش في صيغة زواج كتبها ابن عبد المؤمن حيث ظهر هذا الطول بخاصة في الاستهلال (المقدمة)؛ فقد إهتم الكُتاب القدامى بتحسين المقدمات، وهذا ما أكد عليه أبو هلال العسكري" في كتابه "كتاب الصناعتين"، "أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان"[3].

اختلف نظام السرد في هذه العقود من صيغة لأخرى، ففي الصيغة التي ذكرناها سابقا، كان السارد ابن عبد المؤمن، أما السرد فتمثل في نص صيغة العقد والشروط التي

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص149.
2- الخطبة والزواج في الفقه المالكي، بلقاسم شتوان، ص187.
3- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، مطبعة محمود جادة أبي السعدة، ط1، (د.ت)، ص334.

تضمنها، أما المسرود له فتمثل في الزوجين مثل رقية بنت الشيخ الإمام السيد الهمام المقري ، الشهود.

أما طريقة السرد في عقد زواج المؤلف فقد كانت كالآتي:

- **عقد زواج المؤلف الأول[1]:**

-السارد: محمد السعدي.

-السرد: الحمد لله، تزوج على بركة الله وتوفيقه المكرم الشاب عبد الرزاق ابن الحاج محمد ابن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمه.... على صداق مبارك قدره ما بين نقد محضر وحال منظر وكالي مؤخر.... وحكمه الشطر الباقي من الدنانير المزبورة.

-المسرود له: عبد الرزاق ابن حمادوش، وفاطمة بنت عمه المكرم الحاج أحمد الدباغ، والشهود.

- **عقد زواج المؤلف الثاني[2]:**

-السارد: أحمد بن دحمان.

-السرد: الحمد لله تزوج على بركة الله وعونه، وعلى منهاج الشرع القويم وطريقة...وفردان اثنان وقنطران اثنان صوفا وأوقية واحدة جوهرا وأمة واحدة من رقيق السودان.

-المسرود له: عبد الرزاق ابن حمادوش، وزهرا بنت محمد، والشهود.

وفي الرّحلة عدّة سرود لصيغ أخرى من عقود الزواج إلاّ أنّنا لم نتطرق لها.

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، ص241،242.

2- المصدر نفسه، ص242،243.

من خلال هذه النماذج لوحظ أن طريقة السرد إختلفتا من عقد لآخر فمثلا السارد والمسرود له يتغيران مع تغير العقد، وحتى السرد (نص العقد) يتغير، فهو ليس ثابت.

وخلاصة القول ممّا تقدم يتضح أن السرد يكون في زمان معين، وحيز محدد، كما يتطلب شخصيات مثل السارد والمسرود لهم.

2- الوصف:

تُعدُّ الرّحلة العربية عموما والجزائرية خصوصا، من بين الرّحلات التي اهتم أصحابها بالوصف، فتلك التفاصيل الدقيقة من عادات وتقاليد وأماكن يصفها الرّحالة وكأنّه رسام يُبدع على لوحته، لذلك عُدّ الوصف عنصرا أساسيا من عناصر مكونات الخطاب الرّحلي وقيمته من قيمة السرد، فالوصف "تقديم (تمثيل) الأشياء والكائنات والمواقف والأحداث في وجودها المكاني عوضا عن وجودها الزمني..." [1].

وبهذا يكون الوصف يتكون من كائن وموقف وحدث يجتمعون في مكان واحد.

كما بين "سعيد يقطين" أنّ الوصف "فعل مكاني، إنّه توقيف لزمان السرد لمعانقة ثبات المكان"[2].

يتضح ممّا سبق أنّ الوصف يتعلق بالمكان وليس بالزمان.

كان الوصف لا يزال عنصرا مهما في النصوص السردية، مثل النص الرِّحلي الذي أولى عناية كبيرة به، كما "ارتبط منذ القديم بمفهوم المحاكاة، أي التصوير الفوتوغرافي عن طريق محاكاة الطبيعة وتصويرها كما هي في العالم الخارجي" [3]، أي

1- قاموس السرديات، جيرالد برنس، تر: السيد إمام، ميريت للنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2003، ص43.

2- السرد العربي، مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين، ص195.

3- البنية السردية في رواية "خطوات في الاتجاه الاخر" لــ حفناوي زاغز، ربيعة بدري، ص116.

أنّ الوصف صورة طبق الأصل عن العالم الخارجي (الطبيعة)، وبهذا كان إهتمام الرّحالة الجزائري بالوصف على وعي تام، فقد كان ابن حمادوش مولعا به في رحلته، فنوع فيه منذ بداية الرّحلة، ففي أثناء طريقه من تطوان إلى مكناس رأى مجموعة من الغرائب، ولكنه لم يدع هذا يمر، بل قدمه تقديما يليق به، ممّا جعل المتلقي قريب جدا إلى هذه الصورة، حيث يقول:

"من غريب ما رأيت في هذا الطريق قرب المرج الطويل،...، رأيت غرتين كل واحدة في أفحصها فوق الماء تحضن بيضها،...، والغر طائر قدر الدجاج أسود اللون وبين عينيه غرة بيضاء، وأما البط والغرنيق وشبهه فإنه يلد في الجزائر في قوارب يصطادون بها السمك والطير والبيض...." [1].

كان وصف ابن حمادوش لهذا الطريق دقيقا جدّا إذ لم ينسى أي تفصيل، حيث إعتمد على الألفاظ المسجوعة حتى يزيد من حلاوة الأسلوب الموظف في الوصف، كل هذا لتقريب الصورة أكثر للمتلقي.

واصل الرّحالة وصفه للعديد من الأمور التي صادفته في رحلته حتى أنّه وصف ثورة حاكم تطوان على السلطان عبد الله، وأبدع فيه وتألق كالعادة في طريقة وصفه.

كما طغى الوصف من خلال المقامات التي قدمها الرّحالة، فالمقامة الأولى مثلا التي سمّاها الهركلية قد وصف "بيته بأحد فنادق مكناس، المسمى فندق الرحبة، وما سمعه من الجلبة والضجيج أثناء الليل الدامس وتشاجر القوم رجالا ونساء..." [2].

كان الوصف في هذه المقامة مغايرا للوصف الذي سبقه، ويمكن أن نطلق عليه اسم وصف سمعي، لأنّه وصف ما سمعه في الفندق.

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص73،74.

2- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج2، ص210.

وفي المقامة الثانية "صور حالته عند خروجه من تطوان وتوجهه إلى مكناس، وقد وصف فيها متاعبه وهدفه من زيارة المغرب بمرافقة اثنين من التجار، والطريق الصعب التي مروا بها...، أما الثالثة فقد سماها (المقامة الحالية)، وهي رمزية وصف فيها حالته مع الناس والدنيا والرحلة وخسارته التجارية...." [1].

قدم الرّحالة الوصف المطلوب في مقاماته حتى يعرف المتلقي بكل ما تعرض في أثناء له رحلته، وما الهدف من هذه الرحلة.

كما وصف العادات والتقاليد التي تميّز بها المجتمع الجزائري والمجتمع المغربي، ومن بين هذه العادات والتقاليد الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، فقد تميز هذا الإحتفال بخصوصيته تميزه عن باقي الإحتفالات الأخرى، ففي هذه الليلة المباركة ولد خير البشر على وجه الأرض سيّدنا وحبيبنا المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

يذهب الرجال والأطفال في هذه الليلة للصلاة والذكر حتى ساعات متأخرة من الليل، كما تحتفل النسوة في البيت بطبخ أكلات تقليدية، وتشعل الشموع والبخور، والفتيات تضعن الحنة، كما تُقام كذلك أفراح أخرى منها ختان الأولاد.

إذ كانت البلاد "تحتفل بهذه المناسبة احتفالا كبيرا، يتلى فيها البخاري طوال الليل وتضاء الشموع الضخمة ويطوف القراء وغيرهم الشوارع وهم حاملون المصابيح،....، وكان الناس يلبسون لذلك أيضا أجمل ثيابهم ويتطيبون تقديرا للمولد الشريف" [2].

كان هذا الاحتفال متميزا أكثر بفاس عنه في الجزائر "وفي ذهابي له لقيت الطبالين والعياطين، وآلاف الطرب كلها في السوق ذاهبين بأربعة قباب من شمع، كل واحدة من لون... أحدها خضراء ... أخف مما يجعل في الجزائر عندنا" [3].

1- المرجع السابق، ص211.

2- المرجع نفسه، ص247.

3- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص84.

الواضح أنّ الإحتفال بالمولد في فاس يقام في الأسواق الشعبية المتواجدة بين الحارات الضيقة، ويحملون الشموع المختلفة، كل شمعة بلون مختلف.

كما تخلل هذه الرّحلة وصفا آخر لمظهر ديني عظيم تمثل في وصف الرّحالة لعيد الأضحى في تطوان، إذ يُعدُّ هذا اليوم المبارك والسعيد من أكبر الأعياد التي يحتفل بها المسلمين، كيف لا وهو اليوم الذي نجا فيه الله سيدنا إسماعيل من الذبح على يد والده إبراهيم وأفداه بكبش عظيم، وبهذه المناسبة العظيمة التي تحمل نكهة خاصة أراد ابن حمادوش أن يقدم وصفا جميلا لهذه المناسبة في تطوان "وفي يوم السبت صنع عيد الأضحى بغتة، كان مطر غزير وسحاب ليله ونهاره... إلى الضحاء أتت بينة من طنجة فصنع العيد وذهبنا إلى المصلى... وخطب بنا إمام نسيت اسمه، هو عظيم جامع القصبة، وكان خطيب جامع الباشا في حياته... فرجعنا ومؤذن الزوال يؤذن، ولو لم يكن المطر لأذن ونحن بالمصلى"[1].

أعطى ابن حمادوش لعيد الأضحى مكانة كبيرة في رحلته من خلال وصفه بالتفصيل الدقيق، حتى أنّه وصف ذلك المطر الغزير الذي صاحب هذا اليوم المبارك، وهذا دليل على أن هذا اليوم هو يوم بركة وتسامح ومحبة وألفة.

أما ليلة القدر فكان لها نصيب وافرا في الرّحلة، حيث قام الرّحالة بوصف عادة أهل الجزائر في هذه الليلة المباركة التي عدت خير من ألف شهر ليلة عظيمة يعمها السلام حتى مطلع الفجر لقوله عزوجل ﴿**لَيْلَةُ القَدرِ خَيْرٌ مِّنَ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [2]، وقوله أيضا في سورة القدر ﴿**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطلعِ الفَجْرِ**﴾ [3]، فلهذه الليلة عظمة كبيرة، كانت الإحتفالات بهذه الليلة عظيمة على قدر عظمة هذه السورة، ومن مظاهر إحتفال الجزائر

1- المصدر السابق، ص107.

2- سورة القدر، الآية 03.

3- سورة القدر، الآية 05.

بهاّ أنهم كانوا يذهبون إلى المساجد لتلاوة القرآن الكريم، وقراءة صحيح البخاري والذكر حتى الفجر، ويسبحون بأصوات عالية ويشكرون الله على نعمة شهر رمضان، يقول ابن حمادوش في وصف ليلة القدر "إذّا فرغ المصلون من الصلاة قرؤوا حزب الصبح وما يتبع ذلك، حتى يأتي موقد القناديل بأحد الشموع إلى المحراب، وكان الإمام يجتمع مع المصلين قبل صلاة الصبح في المحراب، فيفتح كتابه ويقرأ من باب ونضع الموازين القسط يوم القيامة إلى آخر الختم"[1].

كانت هذه عادة أهل الجزائر في ليلة القدر، التي صورها الرحالة فتمتع بقدرات تصويرية وبخاصة في وصف الأشياء وصفا مستفيضا ممّا جعل الوصف عنصرا من عناصر مكونات النّص الرّحلي، فلا يوجد نص رحلي يخلو من الوصف، فأي تفصيل قُدم في الرحلة يبنى على هذه التقنية، لأنّه يزيد من سحر وجمال الرحلة ممّا يجعل المتلقي يشعر وكأنّه هو الرحالة نفسه.

3- الحوار:

يُعدُّ الحوار من أهم وسائل الإتصال بين الناس، ويكون بين شخصين أو أكثر، ولهذا المصطلح دورا كبيرا في الحياة الإنسانية، كما أنه ورد في القرآن الكريم، ففي سورة الكهف ورد مرتين، وهذا دليل على الحوار في الأوساط الاجتماعية، قال عزوجل: **﴿وكَانَ لَهُ، ثُمُرٌ فقَالَ لِصاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُه، أَنَا أَكْثرُ مِنكَ وَأَعَزُّ نَفَرَا﴾** [2].

وقوله أيضا: **﴿قَالَ لَهُ: صَاحِبُه، وَهُوَ يُحَاوِرُه أَكَفَرْت بِالذي خَلقَكَ مِن تُرابِ ثُمَّ مِن نُّطفةٍ ثُمَّ سوّيكَ رَجُلاً﴾** [3].

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص126.
2- سورة الكهف، الآية 34.
3- سورة الكهف، الآية 37.

كما وردت لفظة الحوار بمعنى الجدال في قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [1].

فالحوار في القرآن الكريم هو تصحيح الكلام بعيدا عن التعصب، كما أنّه حمل دلالة أخرى بمعنى الجدال، أي المجادلة بالتي هي الأحسن، وبهذا يكون الحوار أسلوب حضاري يتم من خلاله طرح موضوع فكري يحرر الفكر من التعصب والتطرف، فهو "عرض (درامي الطابع) للتبادل الشفاهي يتضمن شخصين أو أكثر"[2].

يتضح من خلال هذا التعريف أنّ الحوار هو تبادل الكلام بين إثنين أو أكثر "لذلك كان لابد في الحوار من وجود متكلم ومخاطب، ولابد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته"[3].

كان للحوار نصيبا كبيرا في النصوص السردية العربية، نذكر منها النص السردي الرّحلي الذي لا يخلو من هذا العنصر، فهو مكمل رئيسي وأساسي لمكوّنات الخطاب الرّحلي إلى جانب السرد والوصف إذ نجده أخذ نصيبه في رحلة ابن حمادوش، إلا أن المشاهد الحوارية كانت قليلة نوعا ما مقارنة مع السرد والوصف.

ونلتمس هذه التقنية بشكل كبير في بعض المسائل سواء أكانت حسابية أو دينية، التي قدمها ابن حمادوش في رحلته.

كانت هذه الحوارات مع أكبر شيوخ المغرب العربي، كما أراد الرّحالة من هذا أنّ يناقش مجموعة من القضايا والبحث والتنقيب فيها، فقد كان الحوار بارزا وظاهرا عندما

1- سورة المجادلة، الآية 01.

2- قاموس السرديات، جيرالد برنس، ص45.

3- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د.ط)، 1982، ج1، ص501.

ناقش الرّحالة مع الورززي في أفضلية الملائكة أو الرسل، وهذا نموذج من الحوار والنقاش الذي دار حول هذه القضية:

"حضرت مجلس الشيخ سيدي أحمد الورززي... فقال: ووجه تشبيه السنوة يوسف بالملك ما حيل في قلوب الخلائق من تفضيل الملك على الإنس.

فقلت له: إن الأشعري يأبى هذا...

فغضب وقال: ما هو إلا أن حبه أشرب في قلوبكم، فأمسكت عنه إلى الغد...

فقلت: أتقول بتفضيل الملك على الأنبياء...

قال لي: أوليس يقول الله تعالى: علمه شديد القوى، وهو جبريل، ولا شك أن المعلم أفضل من المتعلم؟...

قلت له: إني لم استحضر الجواب....

قال لي: وإن أبا الحسن الأشعري لم ينعقد عليه إجماع الأمة بل انعقد عليه إجماع أهل السنة...." [1].

جرى هذا الحوار بين المؤلف والشيخ الورززي حول أفضلية الملائكة أو الرسل، فلكليهما رأي مغاير ومختلف تماما عن الآخر، حيث قدم كل منهما مجموعة من الأدلة والحجج لإظهار صدق الكلام، ومع أنّ الشيخ الورززي أجاز في يوم من الأيام المؤلف إلا أنّه عندما تعرض لهذا الموقف مع تلميذه ابن حمادوش، لم يتعصب منه، بل ناقش القضية بأسلوب حضاري، وهذه الميزة الأساسية في الحوار.

1- لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، ص65،66.

كان الحوار ولا يزال يحتل المرتبة الأولى في إيجاد حل وسط يرضي جميع الأطراف، كما أنّه الأسلوب الذي تتعامل به الطبقة المثقفة في حل قضية من القضايا التي تصادفهم في الحياة، فابن حمادوش عمد إلى هذه التقنية ووظفها عمدا في رحلته، حتى يبين للمتلقي مدى ثقافة المجتمع المغاربي في العهد العثماني وأنّه كان مجتمع بعيد كل البعد عن التعصب والتطرف، وبما أنّه في هذا العهد، عرفت الموسيقى والغناء تطورا ملحوظا ممّا جعل الرّحالة يذكر مجموعة من أخبار الغناء والموسيقى في رحلته واعتمد في هذا على المشهد الحواري الآتي:

"قال يحي بن خالد بن برمك: الغناء ما أطربك فأرقصك أو أبكاك فأشجاك وما سوى ذلك فبلاء وهم.

فقال له المعتمد: قد قلت فأحسنت ووصفت فأطنبت وأقمت في هذا اليوم سوقا للغناء وعيد الأنواع الملاهي...

قال ابن جرداذبة: أما المغني الحادق من تمكن في أنفاسه وتلطف في اختلاسه وتفرع في أجناسه.

قال المعتمد: فعلى كم أقسام الطرب؟

قال: على ثلاثة أوجه، وهي: طرب محرك مستخف... وطرب شجون وحزن...وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس....

قال له المعتمد: فما منزلة الإيقاع وأنواع الطرق وفنون النغم؟

قال: قلنا في ذلك ما تقدم أن منزلة الإيقاع من الغناء منزلة العروض من الشعر...."[1].

1- المصدر السابق، ص187،188.

كانت الغاية من الحوار هنا هو الوصول إلى ما في أذهان هذه الشخصيات، والنظرة التي تحملها كل شخصية حول الموسيقى والغناء وتمثل أطراف الحوار في هذا المشهد في أكثر من طرفين، ومن ثمة كانت الآراء كثيرة حيث منحت الشخصيات فرصة التعبير عن نفسها، كما يمكن للقارئ كشف القناع عن طبيعة هذه الشخصية وسلوكها.

والملفت للانتباه في النص الرّحلي الذي بين أيدينا اعتماد الرّحالة على نوع واحد من الحوار وهو الحوار الخارجي، بعيدا عن الحوار الداخلي (المونولوج)، والملاحظ، أيضا، أن هذه التقنية عملت على تباطئ تقنية السرد (الحكي) في هذا النص.

وهناك نماذج أخرى في الرّحلة عن الحوار إلاّ أنّنا لم نعمد إليها، وبهذا عُدَّ عنصرا لا يجب الاستغناء عنه في الخطاب الرّحلي، وله مساحة خاصة في الرّحلة، فهو يزيد من النص الرّحلي تميزا عن باقي النصوص السردية، كما أنّه يقوم بدفع الشبهة والفاسد عن القول والرأي عن طريق نقاش يديره أطرافه.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ الحوار يستخدم لتفسير وإظهار الأمور، وهو وسيلة التفاهم والاتفاق بين الناس، كما يُعدُّ من إحدى الطرق المنطقية التي مارسها الإنسان قديما وحديثا.

خاتمـــــــة

بعد رحلة بحث قمنا بها مع الرّحالة ابن حمادوش نحط الرِّحال عند آخر جزئية من متن البحث، ألا وهي الخاتمة باعتبارها زبدة البحث، ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع (بنية النص السردي الرحلي الجزائري) توصلنا إلى أهم النتائج نجملها في النقاط الآتية:

1. أدب الرّحلة لون من ألوان الأدب يصور فيه الرّحالة كل ما صادفه وشاهده في أثناء رحلته، وهذا النوع من الأدب يندرج ضمن النصوص السردية، وبالتحديد الفن القصصي.
2. يخرج الرّحالة في رحلته بغية في حب الاطلاع والاستكشاف، كما قد يكون له هدف آخر كالتجارة وطلب العلم، وهذا ما قصده ابن حمادوش في أثناء رحلته.
3. تصنيف الدارسين والباحثين الرّحلة إلى عدّة أنواع مختلفة، تختلف من حيث الدافع والهدف، فهناك الرّحلة العلمية، والرّحلة الحجازية، والرّحلة السفارية، والرّحلة الأثرية....إلخ.
4. عرف أدب الرّحلة الجزائري تطورا ملحوظا في العهد العثماني، حيث برز فيه ابن حمادوش الذي قام برحلة إلى المغرب الأقصى نقل فيها مشاهداته وتجاربه فيه.
5. كتب الرّحالة ابن حمادوش في الموضوعات الشعرية، والأشكال النثرية من مقامات ورسائل...
6. تطورت الأشكال النثرية في الجزائر أكثر في العهد العثماني، وانتشرت انتشارا واسعا، فأخذت المقامة الجزائرية من المقامة العربية سوى الاسم، كما عرف هذا العهد نوعا من الرسائل تمثلت في الرسائل الإخوانية لأنّ معظمها موجه إلى الأهل والأصدقاء.
7. ظهور نوع أدبي نثري جديد تمثل في عقود الزواج، والمتصفح لهذه العقود يرى أنّ هناك فرق في قيمة المهر، فالمرأة عندما تكون ذات جاه ومال أي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية يكون مهرها مرتفعا ومتنوعا ما بين الصوف والقفطان والذهب....إلخ، وعلى العكس من ذلك مهر المرأة التي تنتمي إلى الطبقة البسيطة يكون بسيطا ومتواضعا.

8. أخذت الإجازات في رحلة ابن حمادوش حيزا كبيرا، حيث عرّف القارئ بهذا النوع الأدبي القديم بعد أنّ كان مهمشا من طرف النقاد القدامى، وكانت الإجازات بمثابة الشهادة في وقتنا الحالي.

9. اتخاذ من القصة رمزا يتخفى وراءها الكاتب في العهد العثماني خوفا من السلطة والحاكم من أجل إبراز ودراسة جميع الجوانب الحياتية للمجتمع، مع أخذ العبرة منها.

10. هيمنت الأغراض الشعرية في رحلة ابن حمادوش، حيث كتب في الأغراض التقليدية المعروفة من مدح وفخر وهجاء وحنين...

11. يُعدُّ النص الرّحلي من بين النصوص السردية التي تحتوي على ثلاثة عناصر مهمة وأساسية؛ تمثلت في السرد، والوصف، والحوار.

12. يُعدُّ السرد الطريقة التي يقدم من خلالها محتوى العمل الأدبي عن طريق المكونات السردية: السارد/ الراوي، الرسالة/ السرد، المتلقي/ المسرود له.

13. كان للسرد الدور الكبير في رحلة ابن حمادوش، فقد قدم الرّحالة بفضل تقنية السرد مجموعة من الأحداث التي تعرض لها انطلاقا من لحظة خروجه من الجزائر وصولا إلى المغرب الأقصى متنقلا بين ربوعه.

14. اتباع الرّحالة في سرد الأحداث نظام زمني متطور مبرزا حضوره وذاتيته.

15. هيمنت الوصف على الرّحلة، فكان بمثابة الصورة الفوتوغرافية حيث نقل الرّحالة مجموعة من الغرائب التي رآها في طريقه من تطوان إلى مكناس، مثل طائر الغر، كما وصف بعض العادات والتقاليد المختلفة في الجزائر ومدينة فاس المغربية مثل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وليلة القدر.

16. يعتبر الحوار من أهم مكونات الخطاب السردي، فقد أدى دورا مهما في رحلة ابن حمادوش وشكّل جزءا أساسيا في حياة الأفراد إذ تُعدّ ثقافة الحوار من أهم الظواهر الاجتماعية المميزة للإنسان قديما وحديثا.

كانت هذه جملة النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، ونشير في الأخير بأنّه مشروع قابل لإعادة النظر والقراءة، وقد حاولنا الإجابة عن أسئلة ما تزال مطروحة، ولا نزعم أنّنا أجبنا عنها بصفة قطعية، لكننا اقتربنا من إشكال الموضوع، وهو من الصعوبة لأحد أن يحيط به علما.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع).

أولا- المصادر:

1. لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(د.ط)، 1983.

ثانيا – المراجع:

2.الأدب الجاهلي و بلاغة الخطاب، عبد الإله الصائغ، الأدبية وتحليل النص، دار الفكر المعاصر، التمن، ط1، 1999.

3. أدب الرحلات، عالم المعرفة، حسين محمد فهيم، المجلس الوطني للثقافة و الآدب، (د.ط)، 1989.

4. أدب الرحلة في التراث، فؤاد قنديل، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 2002.

5.أدب الطفل، فلسفته، فنونه، هادي النعمان الهيتي، وسائطه، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، (د.ت) .

6.الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والممالك، عمر موسى باشا، المكتبة العباسية، دمشق، ط2، 1972.

7.أدبية الرحلة، عبد الرحيم مؤذن، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1996.

8.أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نبيلة إبراهيم، دار النهضة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

9.أنواع النثر الشعبي، رابح العوبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، (د.ط)، (د.ت).

10. بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني و الحريري، نجلاء علي حسين الوقاد، دراسة أسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، 2006.

11. بين التاريخ والشعر في خلافة بني العباس، عبد الله التطاوي، دار قباء، القاهرة، (د.ط)، 2000.

12. تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981.

13. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار المغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1983، ج2.

14. الحنين إلى الأوطان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

15. الحياة الأبية في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجبل، بيروت، ط1، 1992.

16. الخطبة و الزواج في الفقه المالكي، بلقاسم شتوان، دار الفجر، الجزائر، د.ط ، د.ت.

17. دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، السيد إبراهيم، نظرية الرواية، دار أنباء، القاهرة، (د.ط)، 1998.

18. الرحلات، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د.ت).

19. الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع)، ناصر عبد الرزاق الموافى، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995.

20. الرحلة في الأدب العربي، شعيب حليفي، التجنس ..آليات الكتابة ..خطاب المتخيل، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2006.

21. الرسائل الفنية في العصر المملوكي، سلامة هليل عيد الغريب، دار الحامد، عمان، الأردن ط1، 2014.

22. طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت، تر: بحراوي، القمري، عقار، منشورات إتحاد كتاب المغرب، ط1، 1992.

23. عصر الدول والإمارات الجزائر، شوقي ضيف، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.ت) .

24. الفخر والحماسة، حنا الفاخوري، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980.

25. الفن القصصي في النثر العربي، ركان الصفدي، حتى مطلع القرن الخامس الهجري، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق، (د.ط)، 2011.

26. فن المقامات في الأدب العربي، عبد المالك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1980.

27. فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي، عباس مصطفى الصالحي، دائرة الشؤون الثقافية و النشر، بغداد، (د.ط)، 1984.

28. فن كتابة القصة، علي عبد الجليل، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، (د.ط)، 2005.

29. في أدب المغاربة والأندلسيين، دراسات فنية، عبد العزيز بومهرة، فريدة زرقين، المعارف للطباعة، الجزائر، ط1، (د.ت) .

30. كتاب الصناعتين، أبو الهلال العسكري، مطبعة محمود جادة أبي السعدة، ط 1، (د.ت).

31. المحاورات السردية، عبد الله إبراهيم، دار الأمان، المغرب، ط1، 2011.

32. مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

33. المقامة، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، (د.ت) .

34. الهجاء في الأدب الأندلسي، فوزي عيسى، دار الوفاء، الإسكندرية، طَ1، 2007.

35. الهجاء والهجاءون في الجاهلية، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، د.ت .

ثالثا– المعاجم:

36. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

37. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، لبنان، ط1، 1980.

38. الأعلام، خير الدين الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين والمستشرقيين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج3.

39. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل حماد الجوهري، تح:إميل بديع يعقوب، محمد طريفي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1999.

40. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د.ط)، 1982، ج1.

41. قاموس السرديات، جيرالد برنس، تر:السيد إمام، ميريت للنشر، القاهرة، ط 1، 2003.

42. قاموس المحيط، الهيئة العامة للكتاب، الفيروز أبادي مجد الدين بن يعقوب الشيرازي، لبنان، ط3، 1979.

43. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 2003، ج3.

44. لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

45. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر المختار، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2008، مج1.

46. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

47. معجم المصطلحات الأدبية، فتحي إبراهيم، التعاضدية العمالية للطباعة و النشر، الجمهورية التونسية، (د.ط).1979، ج1.

48. معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، (د.ط)، 1987، ج3.

49. معجم المصطلحات العربية في الأدب و اللغة، كامل المهندس، مجدي وهبه، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

50. المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1999.

51. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان، (د.ط)، 1979، ج1.

52. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار العودة، تركيا، (د.ط)، (د.ت)، ج2.

رابعا– الرسائل الجامعية:

53. أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة، عبد الله بن عثمان الياقوت، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، 2001.

54. أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، عبد الله بن أحمد بن حامد آل حمادي، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العربية العليا، المملكة العربية السعودية، 1997.

55. أدب الطفل في الجزائر، محمد الطاهر بوشمال، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، 2010.

56. الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم، حكيمة إملولي، رسالة ماجستير في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وأدابها، باتنة، 2009.

57. البنية السردية في رواية خطوات في الإتجاه الآخر لحفناوي زاغر، ربيعة بدري، رسالة ماجستير في السرديات العربية، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب و اللغات، بسكرة، 2015.

58. الحنين والغربة في الشعر الأندلسي (عصر سيادة غرناطة: 635–897ه)، مها روحي إبراهيم الخليلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2007.

59. عقود الزواج المعاصر في الفقه الإسلامي، سمية عبد الرحمن عطية بحر، رسالة ماجستير في الفقه المقارن، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، غزة، 2006.

60. الفضاء المدني ودوره في التشكيل السردي، المبروك أعمر، رحلة العبدري، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات، تيزي وزو، 2013.

61. فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، إسماعيل زردومي، أطروحة دكتوراه دولة في الأدب القديم، جامعة الحاج لخضر، كلية الأداب و العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية و أدابها، باتنة، 2005.

62. في مشروع الخطاب القديم في الجزائر، فضيلة عماري، في عنوان فن الإجازة عند أحمد المقري التلمساني، رسالة ماجستير، كلية الآداب و اللغات و الفنون، وهران، 2010.

ملخص:

اتخذ أدب الرّحلة لنفسه مكانا بين فنون الأدب العربي القديم عامة، والفن القصصي بخاصة وعرف هذا الأدب في الجزائر تطورا ملحوظا خلال العهد العثماني، حيث برز فيه ابن حمادوش الجزائري.

من هذا المنطلق اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي والبنيوي، فاشتملت الدراسة على مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة.

حافظ أدب الرّحلة الجزائري على الأشكال النثرية (الرسائل، والقصص...) وعلى الأغراض الشعرية (المدح، والفخر...) وجعلهما جزءً لا يتجزأ من النص الرّحلي، هذا الأخير الذي جعل لنفسه ثلاث مكونات أساسية تتمثل في مكونات الخطاب السردي الرّحلي ألا وهي (السرد، والوصف، والحوار).

Résumé :

La littérature rehla (de voyage) s'est fait une place parmi les autres arts de l'ancienne littérature arabe en général, et de l'art de narration spécialement .

Cette littérature a connu en algérie un développement remarquable, spécialement dans l'ère ottomane , ou a apparu Ibn Hamadouche El Djazairi .

De ce contexte, nous nous sommes basés dans notre étude sur la méthode descriptive en s'aidant de la méthode constructive. L'étude se compose d'une introduction, de trois chapitres et d'une conclusion.

La littérature rehla (de voyage) algérienne a conservé les forme de prose (lettres, récits, …) ainisi que les objectifs poétiques (Elmadeh, Elfakher,…) et a fait d'eux une partie indivisible du texte rehla, ce dernier s'est constitué de trois composant essentiels, qui sont les composants du dialogue narratif rehla (narration, description, et dialogue).

Summary :

Excursion litteratue has tooke a big part among the different arabic literature specially in the art of telling stories. Journey literature has known a big developement ; in autm an period and Ibn Hamadouche was the most fomous in algeria.

In our research, we took the dexriptive style and the contractive one as an example.our study has an introduction, an enterance, three sequences and a conclnsion.

The Journey literture has respected all types of prose (letters, stories,…etc) as well poetic one (Elmadeh, Elfakher,…etc) these types has took a big part in the eximrsion texte, this latter has put three improtant things are :(narrations, dexribing and dialogues).